كتاب العبودية

كِتَابُ اَلْعُبُودِيَّةِ

مُقَدِّمَةٌ

بِسْمِ اَللَّهِ اَلرَّحْمَنِ اَلرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

إِنَّ اَلْحَمْدَ لِلَّهِ, نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ, وَنَعُوذُ بِاَللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا, مَنْ يَهْدِهِ اَللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ, وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَقَدْ سُئِلَ شَيْخُ اَلْإِسْلَامِ, وَعَلَمُ اَلْأَعْلَامِ, نَاصِرُ اَلسُّنَّةِ, وَقَامِعُ اَلْبِدْعَةِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اَلْحَلِيمِ بْنُ تَيْمِيَةَ –رَحِمَهُ اَللَّهُ– عَنْ قَوْلِهِ ﷻ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ [1] اَلْبَقَرَةُ ٢١ .

فَمَا اَلْعِبَادَةُ؟ .

وَمَا فُرُوعُهَا؟ .

وَهَلْ مَجْمُوعُ اَلدِّينِ دَاخِلٌ فِيهَا أَمْ لَا؟ .

وَمَا حَقِيقَةُ اَلْعُبُودِيَّةِ؟ .

وَهَلْ هِيَ أَعْلَى اَلْمَقَامَاتِ فِي اَلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟ .

---

١ – سورة البقرة آية : ٢١.

مَدْخَلٌ

فَأَجَابَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- : .

الْعِبَادَةُ هِيَ اِسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ [1] .

فَالصَّلَاةُ, وَالزَّكَاةُ, وَالصِّيَامُ, وَالْحَجُّ, وَصِدْقُ الْحَدِيثِ, وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ, وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ, وَصِلَةُ الْأَرْحَامِ, والْوَفَاءُ بِالْعُهُودِ, وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ, وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ, وَالْجِهَادُ لِلْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ, وَالْإِحْسَانُ لِلْجَارِ, وَالْيَتِيمِ, وَالْمِسْكِينِ, وَابْنِ السَّبِيلِ, وَالْمَمْلُوكِ; مِنَ الْآدَمِيِّينَ, وَالْبَهَائِمِ, وَالدُّعَاءُ, وَالذِّكْرُ, وَالْقِرَاءَةُ, وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ الْعِبَادَةِ .

وَكَذَلِكَ حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ, وَخَشْيَةُ اللَّهِ وَالْإِنَابَةُ إِلَيْهِ, وَإِخْلَاصُ الدِّينِ لَهُ, وَالصَّبْرُ لِحُكْمِهِ, وَالشُّكْرُ لِنِعَمِهِ, وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ, وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ, وَالرَّجَاءُ لِرَحْمَتِهِ, وَالْخَوْفُ مِنْ عَذَابِهِ, وَأَمْثَالُ ذَلِكَ هِيَ مِنَ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ .

وَذَلِكَ أَنَّ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ هِيَ الْغَايَةُ الْمَحْبُوبَةُ لَهُ, وَالْمُرْضِيَةُ لَهُ, وَالَّتِي خَلَقَ الْخَلْقَ لَهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى- ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [2] الذَّارِيَات ٥٦ .

وَبِهَا أَرْسَلَ جَمِيعَ الرُّسُلِ, كَمَا قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [3] الْأَعْرَاف ٥٩.

---

١ - قال المقريزي في "تجريد التوحيد المفيد" (ص٨٢ بتحقيقي): "واعلم أن العبادة قواعد هي: التحقيق بما يحب الله ورسوله ويرضاه، وقيام ذلك بالقلب، واللسان، والجوارح، فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الأربع، فأصحاب العبادة حقا هم أصحابها".

٢ - سورة الذاريات آية : ٥٦.

٣ - سورة الأعراف آية : ٥٩.

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ [1] النَّحْل ٣٦ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَاْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [2] الْأَنْبِيَاء ٢٥ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [3] الْأَنْبِيَاء ٩٢ .

كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [4] الْمُؤْمِنُونَ ٥١ – ٥٢ .

وَجَعَلَ ذَلِكَ لَازِمًا لِرَسُولِهِ إِلَى الْمَوْتِ; كَمَا قَالَ ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [5] الْحِجْر ٩٩ .

وَبِذَلِكَ وَصَفَ مَلَائِكَتَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ; فَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [6] الْأَنْبِيَاء ١٩–٢٠ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴾ [7] الْأَعْرَاف ٢٠٦ .

---

١ – سورة النحل آية : ٣٦.

٢ – سورة الأنبياء آية : ٢٥.

٣ – سورة الأنبياء آية : ٩٢.

٤ – سورة المؤمنون آية : ٥١–٥٢.

٥ – سورة الحجر آية : ٩٩.

٦ – سورة الأنبياء آية : ١٩–٢٠.

٧ – سورة الأعراف آية : ٢٠٦.

وَذَمَّ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَنْهَا بِقَوْلِهِ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [1] غَافِر ٦ .

وَنَعَتَ صَفْوَةَ خَلْقِهِ [2] بِالْعُبُودِيَّةِ لَهُ, فَقَالَ تَعَالَى ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [3] الْإِنْسَان ٦ .

وَقَالَ ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [4] الْفُرْقَان ٦٣ .

وَلَمَّا قَالَ الشَّيْطَانُ ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [5] الْحِجْر ٣٩-٤٠ .

قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى- ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [6] الْحِجْر ٤٢ .

وَقَالَ فِي وَصْفِ الْمَلَائِكَةِ بِذَلِكَ ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [7] الْأَنْبِيَاء ٢٦-٢٨ .

---

١ - سورة غافر آية : ٦٠.

٢ - وهم الصالحون، القائمون بأمره.

٣ - سورة الإنسان آية : ٦.

٤ - سورة الفرقان آية : ٦٣.

٥ - سورة الحجر آية : ٣٩-٤٠.

٦ - سورة الحجر آية : ٤٢.

٧ - سورة الأنبياء آية : ٢٦-٢٨.

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ۝٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدّٗا ۝٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ۝٩٣ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ۝٩٤ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴾ [1] مَرْيَم ٨٨-٩٥ .

وَقَالَ تَعَالَى عَنِ الْمَسِيحِ الَّذِي ادُّعِيَتْ فِيهِ الْإِلَهِيَّةُ [2] وَالنُّبُوَّةُ .

إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [3] الزُّخْرُف ٥٩ .

وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : [4] ﴿ لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ, فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ, فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ﴾ .

سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا ﴾ [5] الْإِسْرَاء ١ .

وَقَالَ فِي الْإِيحَاءِ ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴾ [6] اَلنَّجْم ١٠ .

وَقَالَ فِي الدَّعْوَةِ ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ﴾ [7] الْجِنّ ١٩ .

---

١ – سورة مريم آية : ٨٨-٩٥.

٢ – كما ادعاه فيه النصارى؛ المحرفون لكتابهم، المخربون لعقائدهم. وفي رسالتي "دراسة وتحليل الأصول النصرانية والأناجيل" تفصيل لهذا الإجمال؛ يسر الله إتمامها.

٣ – سورة الزخرف آية : ٥٩.

٤ – رواه البخاري (٣٤٤٥)، والدارمي (٣٢٠/٢)، وأحمد (٢٣/١ و٢٤ و٥٥)، والطيالسي (٢٤٢٤)، والبغوي في "شرح السنة" (٢٤٦/١٣، وفي "الأنوار" (٤٢٠)، والترمذي في "الشمائل" (٢٨٤)، ومعمر في "جامعه" (٢٠٥٢٤)، والحميدي (٢٧/١٦/١)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٤٩٨/٥) عن عمر بن الخطاب.

٥ – سورة الإسراء آية : ١.

٦ – سورة النجم آية : ١٠.

٧ – سورة الجن آية : ١٩.

وَقَالَ فِي التَّحَدِّي ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ [1] الْبَقَرَة ٢٣ .

فَالدَّيْنُ كُلُّهُ دَاخِلٌ فِي الْعِبَادَةِ .

وَقَدْ ثَبَتَ فِي "الصَّحِيحِ" [2] أَنَّ جِبْرِيلَ لَمَّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي صُورَةِ أَعْرَابِيٍّ وَسَأَلَهُ عَنِ الْإِسْلَامِ؟ قَالَ .

﴿ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ, وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ, وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ, وَتَصُومَ رَمَضَانَ, وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ .

قَالَ فَمَا الْإِيمَانُ؟ .

أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ, وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ, وَرُسُلِهِ, وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ, وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ﴾ .

قَالَ فَمَا الْإِحْسَانُ؟ .

قَالَ ﴿ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ, فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ﴾ .

ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ ﴿ هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ ﴾ .

فَجَعَلَ هَذَا كُلَّهُ مِنَ الدِّينِ .

وَالدَّيْنُ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الْخُضُوعِ وَالذُّلِّ, يُقَالُ دِنْتُهُ [1] فَدَانَ, أَيْ ذَلَّلْتُهُ فَذَلَّ .

---

١ – سورة البقرة آية : ٢٣.

٢ – "صحيح مسلم" (رقم ٨). ورواه أيضا النسائي (٩٧/٨)، والترمذي (٢٧٣٨)، أبو داود (٤٦٩٥)، وابن ماجه (٦٣)، وأحمد (٢٧/١ و٢٨ و٥٢ و٥٣) عن عمر. ورواه البخاري (١٠٦/١)، ومسلم (٩و١٠)، وابن ماجه (٦٤)، وأحمد (٤٢٦/٢) عن أبي هريرة. ورواه أحمد (٣١٩/١) والبزار (٢٤) عن ابن عباس. ورواه النسائي (١٠١/٨)، أبو داود (٤٦٩٨) عن أبي ذر وأبي هريرة.

وَيُقَالُ يَدِينُ [٢] اللَّهَ, وَيَدِينُ لِلَّهِ, أَيْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَيُطِيعُهُ وَيُخْضَعُ لَهُ .

فَدِيْنُ اللَّهِ عِبَادَتُهُ وَطَاعَتُهُ وَالْخُضُوعُ لَهُ .

١ – "القاموس المحيط" (ص ٢١٧)، "المصباح المنير" (ص ٢٠٥).

٢ – ومن الأخطاء الفظيعة الشائعة في هذه الكلمة ضم الياء: "يُدين" وهي هكذا بمعنى الإدانة! وهو الاتهام!!.

أَصْلُ مَعْنَى الْعِبَادَةِ

وَالْعِبَادَةُ أَصْلُ مَعْنَاهَا الذُّلُّ أَيْضًا, يُقَالُ طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ; إِذَا كَانَ مُذَلَّلًا قَدْ وَطِئَتْهُ الْأَقْدَامُ .

لَكِنَّ الْعِبَادَةَ الْمَأْمُورَ بِهَا تَتَضَمَّنُ مَعْنَى الذُّلِّ وَمَعْنَى الْحُبِّ, فَهِيَ تَتَضَمَّنُ غَايَةَ الذُّلِّ لِلَّهِ تَعَالَى بِغَايَةِ الْمَحَبَّةِ لَهُ .

فَإِنَّ آخِرَ مَرَاتِبَ الْحُبِّ [1] هُوَ التَّتَيُّمُ, وَأَوَّلُهُ الْعَلَاقَةُ, لِتَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِالْمَحْبُوبِ, ثُمَّ الصَّبَابَةُ, لِانْصِبَابِ الْقَلْبِ إِلَيْهِ, ثُمَّ الْغَرَامُ, وَهُوَ

قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ ﴾ [2] التَّوْبَة ٢٤ .

فَجِنْسُ الْمَحَبَّةِ تَكُونُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ كَالطَّاعَةِ, فَإِنَّ الطَّاعَةَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ; وَالْإِرْضَاءَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ [3] التَّوْبَة ٥٩ .

وَأَمَّا الْعِبَادَةُ وَمَا يُنَاسِبُهَا مِنَ التَّوَكُّلِ وَالْخَوْفِ, وَنَحْوِ ذَلِكَ, فَلَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ; كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ

١ – انظر هذه المراتب مفصلة عند تلميذ المؤلف العلامة ابن قيم الجوزية في "روضة المحبين" (ص ١٦)، و"إغاثة اللهفان" (ص ١٠٣موارد الأمان – بقلمي).

٢ – سورة التوبة آية : ٢٤.

٣ – سورة التوبة آية : ٦٢.

بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [1] آل عِمْرَانَ ٦٤.

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [2] التَّوْبَة ٥٩.

فَالْإِيتَاءُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ, كَقَوْلِهِ ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴾ [3] الْحَشْر ٧ .

وَأَمَّا الْحَسْبُ –وَهُوَ الْكَافِي– فَهُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ, كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [4] آل عِمْرَانَ ١٧٣ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [5] الْأَنْفَال ٦٤ .

أَيْ حَسْبُكَ وَحَسْبُ مَنِ اتَّبَعَك مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ .

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الْمَعْنَى حَسْبُكَ اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَهُ; فَقَدْ غَلِطَ غَلَطًا فَاحِشًا, كَمَا قَدْ بَسَطْنَاهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ [6] .

---

١ – سورة آل عمران آية : ٦٤.

٢ – سورة التوبة آية : ٥٩.

٣ – سورة الحشر آية : ٧.

٤ – سورة آل عمران آية : ١٧٣.

٥ – سورة الأنفال آية : ٦٤.

٦ – قال المصنف –رحمه الله– في "منهاج السنة" (٢٠١/٧) مفسرا الآية التفسير الصحيح: "معناه: إن الله حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين، فهو وحده كافيك، وكافي من معك من المؤمنين. وهذا كما تقول العرب: حسبك وزيدا درهم ومنه قول الشاعر: گ فحسبك والضحاك سيف مهند" . ثم طول –رحمه الله تعالى– في تقرير ذلك. وانظر (٣٢/٢) و (٤٨٧/٨) منه.

أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [1] الزُّمَر ٣٦ .

وَتَحْرِيرُ ذَلِكَ أَنَّ الْعَبْدَ يُرَادُ بِهِ الْمُعَبَّدُ الَّذِي عَبَّدَهُ اللَّهُ, فَذَلَّلَهُ وَدَبَّرَهُ وَصَرَّفَهُ .

وَبِهَذَا الاعْتِبَارِ فَالْمَخْلُوقُونَ كُلُّهُمْ عِبَادُ اللَّهِ الْأَبْرَارُ مِنْهُمْ وَالْفُجَّارُ, وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْكُفَّارُ, وَأَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ, إذْ هُوَ رَبُّهُمْ كُلُّهُمْ وَمَلِيكُهُمْ لَا يَخْرُجُونَ عَنْ مَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ, وَكَلِمَاتِهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ, [2] فَمَا شَاءَ كَانَ وَإِنْ لَمْ يَشَاءُوا, وَمَا شَاءُوا إنْ لَمْ يَشَأْهُ لَمْ يَكُنْ, كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [3] آل عِمْرَانَ ٨٣.

فَهُوَ سُبْحَانَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ, وَخَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ, وَمُحْيِيهِمْ وَمُمِيتُهُمْ,

---

وقد فات هذا الموضع صاحب "دقائق التفسير"! (فائدة): بهذا تعرف غلطا شائعا بين الناس عندما يقول أحدهم للآخر: "أنا محسوبك"، فهذا غلط بين، حقه أن يلحق بـــ"المناهي اللفظية"، والله الهادي.

١ – سورة الزمر آية : ٣٦.

٢ – وفي هذا إشارة إلى ما صح عن النبي –صلى الله عليه وسلم– من قوله: "أتاني جبريل فقال: يا محمد! قل، قلت: وما أقول؟ قال: قل: أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق ...". إلخ. رواه أحمد (١٩/٣)، وابن السني (٦٣١)، والأزدي في "المخزون" (١٢٢)، والبخاري في "التاريخ" (٢٤٨/١/٣)، والدارقطني في "المؤتلف" (٦٩٧/٢) وغيرهم عن عبد الرحمن بن خنبش بسند حسن. وأورده السيوطي في "جمع الجوامع" (رقم: ٥٠١٨ ترتيبه) وزاد نسبته لابن أبي شيبة، والبزار، والحسن بن سفيان، وأبي زرعة، وابن منده وأبي نعيم في "الدلائل". وأورده (٣٩٨٠) من مرسل مكحول عن ابن أبي شيبة. وانظر "تعجيل المنفعة" (صفحة ٣٤٩) و"الإصابة" (٣٠٠/٤ ــ ٣٠١).

٣ – سورة آل عمران آية : ٨٣.

مَعْرِفَةُ الْحَقِّ وَرَدُّهُ بِالاسْتِكْبَارِ

فَالْمَعْرِفَةُ بِالْحَقِّ إِذَا كَانَتْ مَعَ الِاسْتِكْبَارِ عَنْ قَبُولِهِ, وَالْجَحْدِ لَهُ كَانَ عَذَابًا عَلَى صَاحِبِهِ, كَمَا قَالَ تَعَالَى .

﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [1] النَّمْل ١٤ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [2] الْبَقَرَة ١٤٦ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [3] الْأَنْعَام ٣٣ .

فَإِنْ اعْتَرَفَ الْعَبْدُ أَنَّ اللَّهَ رَبَّهُ وَخَالِقَهُ, وَأَنَّهُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ; عَرَفَ الْعُبُودِيَّةَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ, وَهَذَا الْعَبْدُ يَسْأَلُ رَبَّهُ, وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ, وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ, لَكِنْ قَدْ يُطِيعُ أَمْرَهُ وَقَدْ يَعْصِيهِ, وَقَدْ يَعْبُدُهُ مَعَ ذَلِكَ, وَقَدْ يَعْبُدُ الشَّيْطَانَ وَالْأَصْنَامَ .

وَمِثْلُ هَذِهِ الْعُبُودِيَّةِ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ, وَلَا يَصِيرُ بِهَا الرَّجُلُ مُؤْمِنًا, كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [4] يُوسُف ١٠٦ .

فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يُقِرُّونَ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ, وَهُمْ يَعْبُدُونَ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ﴾ [5] الزُّمَر ٣٨ .

---

١ – سورة النمل آية : ١٤.

٢ – سورة البقرة آية : ١٤٦.

٣ – سورة الأنعام آية : ٣٣.

٤ – سورة يوسف آية : ١٠٦.

٥ – سورة الزمر آية : ٣٨.

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴾ [1] الْمُؤْمِنُونَ ٨٤-٨٩ .

وَكَثِيرٌ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي الْحَقِيقَةِ [2] وَيَشْهَدُهَا يَشْهَدُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ, وَهِيَ الْحَقِيقَةُ الْكَوْنِيَّةُ الَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا وَفِي شُهُودِهَا وَمَعْرِفَتِهَا الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ, بَلْ وَإِبْلِيسُ مُعْتَرِفٌ بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ وَأَهْلُ النَّارِ .

قَالَ إِبْلِيسُ ﴿ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾ [3] ص: ٧٩ .

وَقَالَ ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [4] الحجْر .

وَقَالَ ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [5] الْإِسْرَاء ٦٢ .

وَأَمْثَالُ هَذَا مِنَ الْخِطَابِ الَّذِي يُقِرُّ فِيهِ بِأَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ وَخَالِقُه وَخَالِقُ غَيْرِهِ .

وَكَذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴾ [6] الْمُؤْمِنُونَ ١٠٦ .

---

١ – سورة المؤمنون آية : ٨٤-٨٩.

٢ – أي: حقيقة الربوبية ووجود الله -تعالى-، كالصوفية وأمثالهم!!.

٣ – سورة ص آية : ٧٩.

٤ – سورة الحجر آية : ٣٩.

٥ – سورة الإسراء آية : ٦٢.

٦ – سورة المؤمنون آية : ١٠٦.

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ ﴾ [1] الْأَنْعَام ٣٠ .

فَمَنْ وَقَفَ عِنْدَ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ وَعِنْدَ شُهُودِهَا, وَلَمْ يَقُمْ بِمَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الْحَقِيقَةِ الدِّينِيَّةِ, الَّتِي هِيَ عِبَادَتُهُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِأُلُوهِيَّتِهِ وَطَاعَةِ أَمْرِهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ; كَانَ مِنْ جِنْسِ إِبْلِيسَ, وَأَهْلِ النَّارِ .

وَإِنْ ظَنَّ مَعَ ذَلِكَ أَنَّهُ مِنْ خَوَاصِّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ, وَأَهْلِ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّحْقِيقِ –الَّذِينَ سَقَطَ عَنْهُمُ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ الشَّرْعِيَّانِ– كَانَ مِنْ أَشَرِّ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ [2] !! .

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الْخَضِرَ [3] وَغَيْرَهُ سَقَطَ عَنْهُمُ الْأَمْرُ لِمُشَاهَدَةِ الْإِرَادَةِ, وَنَحْوِ ذَلِكَ; كَانَ قَوْلُهُ هَذَا مِنْ شَرِّ أَقْوَالِ الْكَافِرِينَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ, حَتَّى يَدْخُلَ فِي النَّوْعِ الثَّانِي مِنْ مَعْنَى الْعَبْدِ, وَهُوَ الْعَبْدُ بِمَعْنَى الْعَابِدِ, فَيَكُونُ عَابِدًا لِلَّهِ, لَا يَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ, فَيُطِيعُ أَمْرَهُ, وَأَمْرَ رُسُلِهِ, وَيُوَالِي أَوْلِيَاءَهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ, وَيُعَادِي أَعْدَاءَهُ .

وَهَذِهِ الْعِبَادَةُ مُتَعَلِّقَةٌ بِإِلَاهِيَّتِهِ تَعَالَى, وَلِهَذَا كَانَ عُنْوَانُ التَّوْحِيدِ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ", بِخِلَافِ مَنْ يُقِرُّ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَلَا يَعْبُدُهُ, أَوْ يَعْبُدُ مَعَهُ إِلَهًا آخَرَ .

---

١ – سورة الأنعام آية : ٣٠.

٢ – قارن بما كتبه الإمام ابن الجوزي في كتابه النافع المستطاب "تلبيس إبليس" (صفحة ٤٥٦ المنتقى النفيس / بقلمي).

٣ – وللمصنف –رحمه الله– كلام مطول حول الخضر –عليه السلام–، وَرَدُّ كثير من الاعتقادات الباطلة التي حاكها حوله الصوفية وغيرهم من المنحرفين، فانظر "مجموع الفتاوى" (٣٣٧/٤ – ٣٤١) و (٤٣٤/١٠) و(١٣/٢٦٦) و(٢٧ /١٠٠ ــ ١٠٢) وغيرها.

فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ

فَالْإِلَهُ هُوَ الَّذِي يَأْلَهُهُ الْقَلْبُ بِكَمَال الْحُبِّ وَالتَّعْظِيمِ,

وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ [١] -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِيمَا ذُكِرَ [٢] عَنْهُ، فَبَيَّنَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الرِّجَالِ إِذَا وَصَلُوا إِلَى الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ أَمْسَكُوا [٣] إِلَّا أَنَا, فَإِنِّي انْفَتَحَتْ لِي فِيهِ رَوْزَنَةٌ [٤] فَنَازَعْتُ أَقْدَارَ الْحَقِّ لِلْحَقِّ, وَالرَّجُلُ مَنْ يَكُونُ مُنَازِعًا لِلْقَدَرِ, لَا مَنْ يَكُونُ مُوَافِقًا لِلْقَدَرِ [٥] .

---

١ – هو الجيلاني، أحد العلماء الزهاد، له كتاب "الغُنية"، وهو مطبوع مشهور؛ توفي سنة (٥٦١هـ) ترجمه الذهبي في "سير أعلام البلاء" (٤٥١/٢٠) وختم ترجمته بقوله: "وفي الجملة: الشيخ عبد القادر كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه، والله المُوعِدُ، وبعض ذلك مكذوب عليه".

٢ – .

٣ – وهو الصواب؛ إذ ينبغي عدم الاسترسال في مسائل القدر، كما صح عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال "إذا ذكر القدر فأمسكوا". انظر تخريجه في "الصحيحة" (٣٤).

٤ – هي كالنافذة.

٥ – وفي "مجموع الفتاوى" (٥٤٩٧/٨) جواب مفصل على هذه الكلمة، أنقله بنصه لتمام الفائدة "الحمد لله ... وبعد؛ فإن جميع الحوادث كائنة بقضاء الله وقدره، وقد أمرنا الله سبحانه أن نزيل الشر بالخير بحسب الإمكان، ونزيل الكفر بالإيمان، والبدعة بالسنة، والمعصية بالطاعة من أنفسنا ومن عندنا، فكل من كفر أو فسق أو عصى فعليه أن يتوب، وإن كان ذلك بقدر الله، وعليه أن يأمر غيره بالمعروف وينهاه عن المنكر –بحسب الإمكان–، ويجاهد في سبيل الله، وإن كان ما يعمله من المنكر والفسوق والعصيان بقدر الله، ليس للإنسان أن يدع السعي فيما ينفعه الله به متكلا على القدر، بل يفعل ما أمر الله ورسوله، كما روى مسلم في "صحيحه" (برقم: (٢٦٦٤).) عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان". فأمر النبي –صلى الله عليه وسلم– المسلم أن يحرص على ما ينفعه، والذي ينفعه يحتاج منازعة شياطين الإنس والجن، ودفع ما قدر من الشر بما قدره الله من الخير. وعليه مع ذلك أن يستعين بالله؛ فإنه لا حول ولا قوة إلا به، وأن يكون عمله خالصا لله، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه، وهذا حقيقة قولك: "إياك نعبد"، والذي قتله حقيقة "وإياك نستعين" الفاتحة: ٤، فعليه أن يعبد الله بفعل المأمور وترك المحظور، وأن يكون مستعينا بالله على ذلك. وفي عبادة الله وطاعته فيما أمر إزالة ما قدر من الشر بما قدر من الخير، ودفع ما يريده الشيطان ويسعى فيه من الشر قبل أن يتصل بما يدفعه الله به يدفعه الله من الخير. قال الله –تعالى–: " ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض"[البقرة: ٢٥١]. كما يدفع شر

لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ ﴾ [1] الْأَنْعَام ١٤٨ .

وَقَالُوا ﴿ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ ﴾ [2] يس ٤٧ .

وَقَالُوا ﴿ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ ﴾ [3] الزُّخْرُف ٢٠ .

وَلَوْ هُدُوا لَعَلِمُوا أَنَّ الْقَدَرَ أُمِرْنَا أَنْ نَرْضَى بِهِ, وَنَصْبِرَ عَلَى مُوجَبِهِ فِي الْمَصَائِبِ الَّتِي تُصِيبُنَا, كَالْفَقْرِ وَالْمَرَضِ وَالْخَوْفِ .

الكفار والفجار الذي في نفوسهم، والذي سعوا فيه بالحق، كإعداد القوة ورباط الخيل، وكالدعاء، والصدقة اللذين يدفعان البلاء، كما جاء في الحديث: "إن الدعاء والبلاء ليلتقيان فيعتلجان بين السماء والأرض". (رواه الحاكم (٤٩٢/١)، والبزار (٢١٦٥)، والخطيب (٤٥٣/٨)، وابن الجوزي في "الواهيات" (١٤١١) عن عائشة. ويشهد له قوله –صلى الله عليه وسلم–: "لا يرد القضاء إلا الدعاء" رواه الترمذي (٢١٤٠) والطحاوي في "الشكل" (١٦٩/٤) عن سلمان بسند فيه ضعف أيضا. وله شواهد أخرى، فانظر "الصحيحة" (١٥٤).) فالشر تارة يكون قد انعقد سببه وخيف فيدفع وصوله، فيدفع الكفار إذا قصدوا بلاد الإسلام، وتارة يكون قد وجد فيزال، وتبدل السيئات بالحسنات. وكل هذا من باب دفع ما قدر من الشر بما قدر من الخير، هذا واجب تارة ومستحب تارة. فالذي ذكره الشيخ –رحمه الله– هو الذي أمر الله به ورسوله. والمقصود من ذلك: أن كثيرا من أهل السلوك والإرادة يشهدون ربوبية الرب، وما قدره من الأمور التي ينهى عنها، فيقفون عند شهود هذه الحقيقة الكونية، ويظنون أن هذا من باب الرضا بالقضاء والتسليم! وهذا جهل وضلال قد يؤدي إلى الكفر والانسلاخ من الدين، فإن الله لم يأمرنا أن نرضى بما يقع من الكفر والفسوق والعصيان، بل أمرنا أن نكره ذلك وندفعه بحسب الإمكان، كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطيع فبلسانه، فإن لم يستطيع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" (رواه مسلم (٤٩).) والله –تعالى– قد قال: "ولا يرضى لعبادة الكفر" [الزمر: ٧]، وقال:"والله لا يحب الفساد " [البقرة: ٢٠٥] فكيف يأمرنا أن نرضى لأنفسنا ما لا يرضاه لنا، وهو جعل ما يكون من الشر محنة لنا وابتلاء، كما قال تعالى: "وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون " [الفرقان: ٢٠] ؟! وقال تعالى بعد أمره بالقتال: "ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم" [محمد: ٤]. وفي "صحيح مسلم" ((برقم: ٢٩٩٩) وهي رواية من المصنف بالمعني.) عن النبي – صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "والذي نفسي بيده؛ لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له". فالمؤمن إذا كان صبورا شكورا يكون ما يقضى عليه من المصائب خيرا له، وإذا كان أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، مجاهدا في سبيل الله؛ كان ما قدر له من الكفار سببا (في الأصل: "سبب"!) للخير في حقه، وكذلك إذا دعاه الشيطان والهوى كان ذلك سببا لما حصل له من الخير، فيكون ما يقدر من الشر إذا نازعه ودافعه أمره الله ورسوله سببا لما يحصل له من البر والتقوى وحصول الخير والثواب، وارتفاع الدرجات. فهذا وأمثاله مما يبين معنى الكلام. والله أعلم". ا هـ.

١ – سورة الأنعام آية : ١٤٨.

٢ – سورة يس آية : ٤٧.

٣ – سورة الزخرف آية : ٢٠.

قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى- ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ ﴾ [1] التَّغَابُن ١١ .

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ [2] هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ ﴾ [3] الْحَدِيد ٢٢-٢٣ .

وَفِي "الصَّحِيحَيْنِ" [4] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَال ﴿ احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى, فَقَالَ مُوسَى أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ, وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ, وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ, وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ, فَلِمَاذَا أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنْ الْجَنَّةِ? فَقَالَ آدَمُ أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ, فَهَلْ وَجَدْتَ ذَلِكَ مَكْتُوبًا عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ? قَالَ نَعَمْ قَالَ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى . ﴾ .

وَآدَمُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لَمْ يَحْتَجَّ عَلَى مُوسَى بِالْقَدَرِ ظَنًّا أَنَّ الْمُذْنِبَ يَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ, فَإِنَّ هَذَا لَا يَقُولُهُ مُسْلِمٌ وَلَا عَاقِلٌ, وَلَوْ كَانَ هَذَا عُذْرًا لَكَانَ عُذْرًا لِإِبْلِيسَ, وَقَوْمِ نُوحٍ, وَقَوْمِ هُودٍ, وَكُلِّ كَافِرٍ .

وَلَا مُوسَى لَامَ آدَمَ أَيْضًا لِأَجْلِ الذَّنْبِ, فَإِنَّ آدَمَ قَدْ تَابَ إِلَى رَبِّهِ فَاجْتَبَاهُ وَهَدَى, وَلَكِنْ لَامَهُ لِأَجْلِ فَأَجَابَهُ آدَمُ إِنَّ هَذَا كَانَ مَكْتُوبًا عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ الْمُصِيبَةِ الَّتِي لَحِقَتْهُمْ بِالْخَطِيئَةِ, وَلِهَذَا قَالَ "فَلِمَاذَا أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنْ الْجَنَّةِ ? " .

---

١ – سورة التغابن آية : ١١.

٢ – هو علقمة، فيما أخرجه عنه عبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في "شعب الإيمان" كما في "الدر المنثور" (/ / ١٨٣ ــ ط ٢).

٣ – سورة الحديد آية : ٢٢-٢٣.

٤ – رواه البخاري (٣٤٠٩) ومسلم (٢٦٥٢) ومالك (٨٩٨/٢) وأبو داود (٤٧٠١) والترمذي (٢١٣٥) عن أبي هريرة. وفي الباب عن عدة من الصحابة، فانظر "الصحيحة (٩٠٩) و (١٧٠٢ لشيخنا الألباني.).

﴾ [1] غَافِر ٥٥ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ [2] آل عِمْرَانَ ١٢ .

وَقَالَ ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [3] آل عِمْرَانَ ١٨٦ .

وَقَالَ يُوسُفُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [4] يُوسُف ٩٠ .

١ – سورة غافر آية : ٥٥.

٢ – سورة آل عمران آية : ١٢٠.

٣ – سورة آل عمران آية : ١٨٦.

٤ – سورة يوسف آية : ٩٠.

وُجُوبُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ

وَكَذَلِكَ ذُنُوبُ الْعِبَادِ; يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ فِيهَا أَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ بِحَسْبِ قُدْرَتِهِ, وَيُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ, وَيُوَالِيَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ, وَيُعَادِيَ أَعْدَاءَ اللَّهِ, وَيُحِبَّ فِي اللَّهِ وَيُبْغِضَ فِي اللَّهِ, كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ (١) الْمُمْتَحِنَة ١-٤ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ (٢) الْمُجَادَلَة ٢٢ .

أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (٣) الْقَلَم ٣٥ .

---

١ – سورة الممتحنة آية : ١-٤.

٢ – سورة المجادلة آية : ٢٢.

٣ – سورة القلم آية : ٣٥.

وَقَالَ ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [1] ص: ٢٨ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [2] الْجَاثِيَة ٢١.

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ﴾ [3] فَاطِر ١٩-٢٢ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ﴾ [4] الزُّمَر ٢٩ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [5] النَّحْل ٧٥-٧٦ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [6] الْحَشْر ٢٠ .

وَنَظَائِرُ ذَلِكَ مِمَّا يُفَرِّقُ اللَّهُ فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ, وَأَهْلِ الطَّاعَةِ وَأَهْلِ الْمَعْصِيَةِ, وَأَهْلِ الْبِرِّ وَأَهْلِ الْفُجُورِ, وَأَهْلِ الْهُدَى

١ – سورة ص آية : ٢٨.

٢ – سورة الجاثية آية : ٢١.

٣ – سورة فاطر آية : ١٩-٢٢.

٤ – سورة الزمر آية : ٢٩.

٥ – سورة النحل آية : ٧٥-٧٦.

٦ – سورة الحشر آية : ٢٠.

تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [1] الشُّعَرَاء ٩٧-٩٨ .

بَلْ قَدْ آلَ الْأَمْرُ بِهَؤُلَاءِ إِلَى أَنْ سَوَّوا اللَّهَ بِكُلِّ مَوْجُودٍ, وَجَعَلُوا مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ حَقًّا لِكُلِّ مَوْجُودٍ, إِذْ جَعَلُوهُ هُوَ وُجُودَ الْمَخْلُوقَاتِ [2] ! .

وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ بِرَبِّ الْعِبَادِ .

وَهَؤُلَاءِ يَصِلُ بِهِمُ الْكُفْرُ إِلَى أَنَّهُمْ لَا يَشْهَدُونَ أَنَّهُمْ عِبَادٌ; لَا بِمَعْنَى أَنَّهُمْ مُعَبَّدُونَ, وَلَا بِمَعْنَى أَنَّهُمْ عَابِدُونَ, إِذْ يَشْهَدُونَ أَنْفُسَهُمْ هِيَ الْحَقُّ, كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ طَوَاغِيتُهُمْ; كَابْنِ عَرَبِيٍّ [3] صَاحِبِ "الْفُصُوصُ" [4] وَأَمْثَالِهِ الْمُلْحِدِينَ وَالْمُفْتَرِينَ; كَابْنِ سَبْعِينَ [5] وَأَمْثَالِهِ,

إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ قِيلَ مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ? قَالَ أَهْلُ الْقُرْآنِ, هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ ﴾ [6] .

فَهَؤُلَاءِ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ وَخَالِقُهُ, وَأَنَّ الْخَالِقَ -سُبْحَانَهُ- مُبَايِنٌ لِلْمَخْلُوقِ, لَيْسَ هُوَ حَالًّا فِيهِ, وَلَا مُتَّحِدًا بِهِ, وَلَا وُجُودُهُ وُجُودَهُ .

وَالنَّصَارَى إِنَّمَا كَفَّرَهُمُ اللَّهُ بِأَنْ قَالُوا بِالْحُلُولِ, وَاتِّحَادِ الرَّبِّ بِالْمَسِيحِ خَاصَّةً; فَكَيْفَ مَنْ جَعَلَ ذَلِكَ عَامًّا فِي كُلِّ مَخْلُوقٍ?! .

---

١ - سورة الشعراء آية : ٩٧-٩٨.

٢ - وهم أهل وحدة الوجود، عياذا بالله.

٣ - هو محيي الدين (!) ابن عربي، المتوفى سنة (٦٣٨هـ)، تُنظر لمعرفة مقالات أهل العلم فيه رسالة "ابن عربي عقيدته وحياته، وأقوال العلماء فيه" للشيخ تقي الدين الفاسي بتعليقي.

٤ - واسم هذا الكتاب "فصوص الحكم"، فيه ألوان من الكفر والشرك. وللمصنف -رحمه الله- رد بديع عليه اسمه "الرد الأقوم على ما في فصوص الحكم" مطبوع ضمن "مجموع الفتاوى" (٣٦٢/٢ فما بعد).

٥ - هو عبد الحق بن سبعين، المتوفى سنة (٦٦٩هـ)، له كلمات كفر معروفة، فانظر "البداية والنهاية" (٢٦١/١٣) و"لسان الميزان" (١٨٨/١). وانظر "مجموع الفتاوى" (١١٥/٢، ١٢٣، ١٢٤، ٢٢٠، ٢٩٤).

٦ - Takreej file not found.

وَيَعْلَمُونَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِطَاعَتِهِ, وَطَاعَةِ رَسُولِهِ, وَنَهَى عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَمَعْصِيَةِ رَسُولِهِ, وَأَنَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ, وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ, وَأَنَّ عَلَى الْخَلْقِ أَنْ يَعْبُدُوهُ فَيُطِيعُوا أَمْرَهُ, وَيَسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى

الاحْتِجَاجُ بِالْقَدَرِ

وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ الْحَقِيقَةَ الْكَوْنِيَّةَ, وَهِيَ رُبُوبِيَّتُهُ تَعَالَى لِكُلِّ شَيْءٍ وَيَجْعَلُونَ ذَلِكَ مَانِعًا مِنِ اتِّبَاعِ أَمْرِهِ الدِّينِيِّ الشَّرْعِيِّ عَلَى مَرَاتِبَ فِي الضَّلَالِ .

فَغُلَاتُهُمْ يَجْعَلُونَ ذَلِكَ مُطْلَقًا عَامًا, فَيَحْتَجُّونَ بِالْقَدَرِ فِي كُلِّ مَا يُخَالِفُونَ فِيهِ الشَّرِيعَةَ .

وَقَوْلُ هَؤُلَاءِ شَرٌّ مِنْ قَوْلِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى, وَهُوَ مِنْ جِنْسِ قَوْلِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالُوا ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ [1] الْأَنْعَام ١٤٨ . وَقَالُوا ﴿ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ ﴾ [2] الزُّخْرُف ٢٠ .

وَهَؤُلَاءِ مِنْ أَعْظَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ تَنَاقُضًا, بَلْ كُلُّ مَنِ احْتَجَّ بِالْقَدَرِ فَإِنَّهُ مُتَنَاقِضٌ, فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُقِرَّ كُلُّ آدَمِيٍّ عَلَى مَا فَعَلَ, فَلَا بُدَّ إِذَا ظَلَمَهُ ظَالِمٌ, أَوْ ظَلَمَ النَّاسَ ظَالِمٌ, وَسَعَى فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ, وَأَخَذَ يَسْفِكُ دِمَاءَ النَّاسِ, وَيَسْتَحِلُّ الْفُرُوجَ, وَيُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ, وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الضَّرَرِ الَّتِي لَا قِوَامَ لِلنَّاسِ بِهَا, أَنْ يَدْفَعَ هَذَا الْقَدَرَ, وَأَنْ يُعَاقِبَ الظَّالِمَ بِمَا يَكُفُّ عُدْوَانَهُ, وَعُدْوَانَ أَمْثَالِهِ, فَيُقَالُ لَهُ إِنْ كَانَ الْقَدَرُ حُجَّةً; فَدَعْ كُلَّ أَحَدٍ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ بِكَ وَبِغَيْرِكَ! وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حُجَّةً بَطَلَ أَصْلُ قَوْلِكَ إِنَّ الْقَدَرَ حُجَّةٌ [3] !! .

---

١ – سورة الأنعام آية : ١٤٨.

٢ – سورة الزخرف آية : ٢٠.

٣ – وهي حجة عقلية متينة تنقض قولهم من أساسه.

أَنْتَ عِنْدَ الطَّاعَةِ قَدَرِيٌّ, وَعِنْدَ الْمَعْصِيَةِ جَبْرِيٌّ, أَيُّ مَذْهَبٍ وَافَقَ هَوَاكَ تَمَذْهَبْتَ بِهِ [1] !! .

وَمِنْهُمْ صِنْفٌ يَدَّعُونَ التَّحْقِيقَ وَالْمَعْرِفَةَ, فَيَزْعُمُونَ أَنَّ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ لَازِمٌ لِمَنْ شَهِدَ لِنَفْسِهِ فِعْلًا, وَأَثْبَتَ لَهُ صُنْعًا, أَمَّا مَنْ شَهِدَ أَنَّ أَفْعَالَهُ مَخْلُوقَةٌ, أَوْ أَنَّهُ مَجْبُورٌ عَلَى ذَلِكَ, وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِيهِ كَمَا يُحَرِّكُ سَائِرَ الْمُتَحَرِّكَاتِ; فَإِنَّهُ يَرْتَفِعُ عَنْهُ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ, وَالْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ .

وَقَدْ يَقُولُونَ مَنْ شَهِدَ الْإِرَادَةَ سَقَطَ عَنْهُ التَّكْلِيفُ, وَيَزْعُمُ أَحَدُهُمْ أَنَّ الْخَضِرَ سَقَطَ عَنْهُ التَّكْلِيفُ لِشُهُودِهِ الْإِرَادَةَ! .

فَهَؤُلَاءِ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ الَّذِينَ شَهِدُوا الْحَقِيقَةَ الْكَوْنِيَّةَ, فَشَهِدُوا أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ, وَأَنَّهُ يُدَبِّرُ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ .

وَقَدْ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ عِلْمًا وَبَيْنَ مَنْ يَرَاهُ شُهُودًا, فَلَا يُسْقِطُونَ التَّكْلِيفَ عَمَّنْ يُؤْمِنُ بِذَلِكَ وَيَعْلَمُهُ فَقَطْ, وَلَكِنْ يُسْقِطُونَهُ عَمَّنْ يَشْهَدُهُ, فَلَا يَرَى لِنَفْسِهِ فِعْلًا أَصْلًا .

١ – وهكذا –في مسائل الفقه– كثير من المشايخ، وأشباه المتعلمين، وأنصاف المثقفين، حتى المتفقهة العصرانيين؛ نرى هؤلاء جميعا لا يستقرون على قول، لا يقرون على قاعدة: اليوم يأخذون فقه المذهب، وغدا يتركونه إلى العمل بالدليل، وفي اليوم الثالث يتبعون هوى العامة!! فلا قوة إلا بالله.

وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [1] الْحِجْر ٩٩ . فَالْيَقِينُ عِنْدَهُمْ, هُوَ مَعْرِفَةُ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ! .

وَقَوْلُ هَؤُلَاءِ كُفْرٌ صَرِيحٌ; وَإِنْ وَقَعَ فِيهِ طَوَائِفُ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ كُفْرٌ; فَإِنَّهُ قَدْ عُلِمَ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ, أَنَّ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ

فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ ذَلِكَ عُرِّفَهُ وَبُيِّنَ لَهُ, فَإِنْ أَصَرَّ عَلَى اعْتِقَادِ سُقُوطِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ [2] .

وَقَدْ كَثُرَتْ مِثْلُ هَذِهِ الْمَقَالَاتِ فِي الْمُسْتَأْخِرِينَ .

وَأَمَّا الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْمَقَالَاتُ مَعْرُوفَةً فِيهِمْ .

وَهَذِهِ الْمَقَالَاتُ هِيَ مُحَادَّةٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ, وَمُعَادَاةٌ لَهُ, وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِهِ, وَمُشَاقَّةٌ لَهُ, وَتَكْذِيبٌ لِرُسُلِهِ, وَمُضَادَّةٌ لَهُ فِي حُكْمِهِ, وَإِنْ كَانَ مَنْ يَقُولُ هَذِهِ الْمَقَالَاتِ قَدْ يَجْهَلُ ذَلِكَ, وَيَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ هُوَ طَرِيقُ الرَّسُولِ, وَطَرِيقُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُحَقِّقِينَ; فَهُوَ فِي ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تَجِبُ عَلَيْهِ لِاسْتِغْنَائِهِ عَنْهَا بِمَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْأَحْوَالِ الْقَلْبِيَّةِ, أَوْ أَنَّ الْخَمْرَ حَلَالٌ لَهُ, لِكَوْنِهِ مِنَ الْخَوَّاصِ الَّذِينَ لَا يَضُرُّهُمْ شُرْبُ الْخَمْرِ, أَوْ أَنَّ الْفَاحِشَةَ حَلَالٌ لَهُ; لِأَنَّهُ صَارَ كَالْبَحْرِ لَا تُكَدِّرُهُ الذُّنُوبُ, وَنَحْوُ ذَلِكَ!! .

---

١ – سورة الحجر آية : ٩٩.

٢ – وهذه قاعدة هامة عند أهل السنة قبل الحكم بالكفر، وهي إقامة الحجة، وتوضيح البيان، فإذا كنت ذاكرا لها سهل عليك –بتوفيق الله تعالى– حل كثير من الإشكالات الفكرية التي زلت فيها أقدام كثير من الشباب العاطفي المتحمس. وانظر مقالتي "حقيقة الكفر بين الشرع والعاطفة" في "مجلة المجاهد" الصادرة في بشاور ــ باكستان، قبل سنوات.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا الرَّسُولَ يَتَرَدَّدُونَ بَيْنَ الْبِدْعَةِ الْمُخَالِفَةِ لِشَرْعِ اللَّهِ وَبَيْنَ الِاحْتِجَاجِ بِالْقَدَرِ عَلَى مُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ .

وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) الْأَعْرَاف ٢٨ .

وَكَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ ﴾ (٢) الْأَنْعَام ١٤٨ .

وَقَدْ ذُكِرَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ مَا ابْتَدَعُوهُ مِنَ الدِّينِ, الَّذِي فِيهِ تَحْلِيلُ الْحَرَامِ, وَالْعِبَادَةُ الَّتِي لَمْ يَشْرَعْهَا اللَّهُ, بِمِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى .

﴿ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِۚ ﴾ (٣) الْأَنْعَام ١٣٨ . إِلَى آخِرِ السُّورَةِ .

وَكَذَلِكَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ فِي قَوْلِهِ ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ (٤) إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ (٥) إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ ﴾ (٦) إِلَى قَوْلِهِ

١ – سورة الأعراف آية : ٢٨.

٢ – سورة الأنعام آية : ١٤٨.

٣ – سورة الأنعام آية : ١٣٨.

٤ – سورة الأعراف آية : ٢٧.

٥ – سورة الأعراف آية : ٢٨–٢٩.

٦ – سورة الأعراف آية : ٣١–٣٢.

﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [1] الْأَعْرَاف ٢٦ ٣٢ .

وَإِذَا حُقِّقَ عَلَى هَؤُلَاءِ مَا يَزْعُمُونَهُ مِنَ الْعَقْلِيَّاتِ الْمُخَالِفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ; وُجِدَتْ جَهْلِيَّاتٍ وَاعْتِقَادَاتٍ فَاسِدَةٍ [2] .

وَكَذَلِكَ أُولَئِكَ إِذَا حُقِّقَ عَلَيْهِمْ مَا يَزْعُمُونَهُ مِنْ حَقَائِقِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُخَالِفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ; وُجِدَتْ مِنَ الْأَهْوَاءِ الَّتِي يَتَّبِعُهَا أَعْدَاءُ اللَّهِ لَا

١ – سورة الأعراف آية : ٣٣.

٢ – ما أقوى هذا الكلام في الرد على من حاكم (!) "السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث"، فكتب بجهل! وتكلم بجهل! فكتابه جهل على جهل!!!.

تَقْدِيمُ الْقِيَاسِ عَلَى النَّصِّ

وَأَصْلُ ضَلَالِ مَنْ ضَلَّ هُوَ بِتَقْدِيمِ قِيَاسِهِ عَلَى النَّصِّ الْمُنَزَّلِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ, وَتَقْدِيمِ اتِّبَاعِ الْهَوَى عَلَى اتِّبَاعِ أَمْرِ اللَّهِ .

فَإِنَّ الذَّوْقَ وَالْوَجْدَ وَنَحْوَ ذَلِكَ هُوَ بِحَسْبِ مَا يُحِبُّهُ الْعَبْدُ, فَكُلُّ مُحِبٍّ لَهُ ذَوْقٌ وَوَجْدٌ بِحَسْبِ مَحَبَّتِهِ, فَأَهْلُ الْإِيمَانِ لَهُمْ مِنَ الذَّوْقِ وَالْوَجْدِ, مِثْلُ مَا بَيَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ ﴿ ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا, وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ, وَمَنْ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجِعَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ ﴾ [1] .

وَقَالَ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ [2] ﴿ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا, وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا, وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا ﴾ .

وَأَمَّا أَهْلُ الْكُفْرِ وَالْبِدَعِ وَالشَّهَوَاتِ; فَكُلٌّ بِحَسْبِهِ .

قِيلَ لِسُفْيَانَ بنِ عُيَيْنَةَ مَا بَالُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ لَهُمْ مَحَبَّةٌ شَدِيدَةٌ لِأَهْوَائِهِمْ?! فَقَالَ أَنَسِيتَ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْۚ ﴾ [3] الْبَقَرَة ٩٣ . أَوْ نَحْوَ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ .

فَعُبَّادُ الْأَصْنَامِ يُحِبُّونَ آلِهَتَهُمْ, كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ ﴾ [4] الْبَقَرَة ١٦٥ .

---

١ – رواه البخاري (١٦) و (٢١) و (٦٠٤١) و(٦٩٤١) ومسلم (٤٣) وابن ماجه (٤٠٣٣) والنسائي (٩٤/٨) ٩٦) والترمذي (٢٦٢٦) وأحمد (١٠٣/٣ و ١٧٢ و١٧٤ و٢٣٠ و ٢٤٥ و٢٧٥ و ٢٨٨) والطيالسي (١٩٥٩) وابن منده في "الإيمان" (٢٨١) و (٢٨٢) و(٢٨٣) عن أنس –رضي الله عنه–.

٢ – رواه مسلم (٣٤) والترمذي (٢٦٣٣) وأحمد (٢٠٨/١) والبغوي (٥٢/١) والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٧٣) عن العباس بن عبد المطلب –رضي الله عنه–.

٣ – سورة البقرة آية : ٩٣.

٤ – سورة البقرة آية : ١٦٥.

فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ ﴾ (١) الْقَصَص ٥٠ .

وَقَالَ ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ (٢) النَّجْم ٢٣ .

وَلِهَذَا يَمِيلُ هَؤُلَاءِ إِلَى سَمَاعِ الشِّعْرِ وَالْأَصْوَاتِ الَّتِي تُهَيِّجُ الْمَحَبَّةَ الْمُطْلَقَةَ الَّتِي لَا تَخْتَصُّ بِأَهْلِ الْإِيمَانِ بَلْ يَشْتَرِكُ فِيهَا مُحِبُّ الرَّحْمَنِ, وَمُحِبُّ الْأَوْثَانِ, وَمُحِبُّ الصُّلْبَانِ, وَمُحِبُّ الْأَوْطَانِ, وَمُحِبُّ الْإِخْوَانِ, وَمُحِبُّ الْمُرْدَانِ, وَمُحِبُّ النِّسْوَانِ! .

وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَذْوَاقَهُمْ وَمَوَاجِيدَهُمْ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارٍ لِذَلِكَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ, وَمَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ (٣) .

فَالْمُخَالِفُ لِمَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ مِنْ عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ, وَطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ; لَا يَكُونُ مُتَّبِعًا لِدِيْنٍ شَرَعَهُ اللَّهُ أَبَدًا, كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٤) الْجَاثِيَة ١٨ ــ ١٩ .

---

١ – سورة القصص آية : ٥٠.

٢ – سورة النجم آية : ٢٣.

٣ – وهذا شرط مهم لأصول فهم الكتاب والسنة، ودونه يكون الفهم سقيما، والطريق أعوج عقيما؛ إذ يترك الفهم لعقول أهل الكلام، أو لفهوم أرباب التصوف، أو لأهواء أذناب العقل، أو غير هؤلاء ممن لم يحكموا فهمهم للوحيين الشريفين بمنهاج السلف، وطريق السلف.

٤ – سورة الجاثية آية : ١٨-١٩.

أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [1] الشُّورَى ٢١ .

وَهُمْ فِي ذَلِكَ تَارَةً يَكُونُونَ عَلَى بِدْعَةٍ يُسَمُّونَهَا حَقِيقَةً! يُقَدِّمُونَهَا عَلَى مَا شَرَعَهُ اللَّهُ, وَتَارَةً يَحْتَجُّونَ بِالْقَدَرِ الْكَوْنِيِّ عَلَى الشَّرِيعَةِ! كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ الْمُشْرِكِينَ كَمَا تَقَدَّمَ .

وَمِنْ هَؤُلَاءِ طَائِفَةٌ هُمْ أَعْلَاهُمْ عِنْدَهُمْ قَدْرًا, وَهُمْ مُسْتَمْسِكُونَ بِمَا اخْتَارُوا بِهَوَاهُمْ مِنَ الدِّينِ فِي أَدَاءِ الْفَرَائِضِ الْمَشْهُورَةِ, وَاجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ الْمَشْهُورَةِ, لَكِنْ يَضِلُّونَ بِتَرْكِ مَا أُمِرُوا بِهِ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي هِيَ عِبَادَةٌ, ظَانِّينَ أَنَّ الْعَارِفَ إذَا شَهِدَ الْقَدَرَ أَعْرَضَ عَنْ ذَلِكَ, مِثْلُ مَنْ يَجْعَلُ التَّوَكُّلَ مِنْهُمْ أَوِ الدُّعَاءَ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ مَقَامَاتِ الْعَامَّةِ دُونَ الْخَاصَّةِ; بِنَاءً عَلَى أَنَّ مَنْ شَهِدَ الْقَدَرَ عَلِمَ أَنَّ مَا قُدِّرَ سَيَكُونُ, فَلَا حَاجَةَ إلَى ذَلِكَ! .

وَهَذَا ضَلَالٌ مُبِينٌ وَغَلَطٌ عَظِيمٌ .

فَإِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ الْأَشْيَاءَ بِأَسْبَابِهَا, كَمَا قَدَّرَ السَّعَادَةَ وَالشَّقَاوَةَ بِأَسْبَابِهَا, كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ﴿ إنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا, خَلَقَهَا لَهُمْ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ, وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ, وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا, خَلَقَهَا لَهُمْ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ, وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ ﴾ [2] .

وَكَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا أَخْبَرَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْمَقَادِيرَ, فَقَالُوا ﴿ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفَلَا نَدَعُ الْعَمَلَ وَنَتَّكِلُ عَلَى الْكِتَابِ؟ فَقَالَ ﴾ لَا, اعْمَلُوا, فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ, أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ, وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ" [3] .

---

١ – سورة الشورى آية : ٢١.

٢ – رواه مسلم (٢٦٦٢) وأبو داود (٤٧١٣) والنسائي (٥٧/٤) وابن ماجه (٨٢) وأحمد (٤١/٦ و٢٠٨) والآجري في "الشريعة" (١٩٦) عن عائشة.

٣ – رواه البخاري (١٣٦٢) و (٤٩٤٥) و (٤٩٤٦) ومسلم (٢٦٤٨) وأبو داود (٤٦٩٤) والترمذي (٢١٣٦) و(٣٣٤٤) وأحمد (٨٢/١ و١٢٩ و١٣٢ و١٤٠) وابن ماجه (٧٨) والنسائي في "الكبرى" كما في "تحفة الأشراف" (٣٩٩/٧) وعبد الرازق في "المصنف" (٢٠٠٧٤) وابن حبان (٣٤) و(٣٥) والآجري (١٧١–١٧٢) عن علي –رضي الله عنه–.

فَكُلُّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ مِنَ الْأَسْبَابِ فَهُوَ عِبَادَةٌ [1] وَالتَّوَكُّلُ مَقْرُونٌ بِالْعِبَادَةِ, كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [2] هُود ١٢٣ . وَفِي قَوْلِهِ ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [3] الرَّعْد ٣٠ . وَقَوْلِ شُعَيْبٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [4] هُود ٨٨ .

وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ قَدْ تَتْرُكُ الْمُسْتَحَبَّاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ دُونَ الْوَاجِبَاتِ, فَتَنْقُصُ بِقَدْرِ ذَلِكَ .

وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ يَغْتَرُّونَ بِمَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ خَرْقِ عَادَةٍ [5] مِثْلِ مُكَاشَفَةٍ, أَوْ اسْتِجَابَةِ دَعْوَةٍ مُخَالِفَةٍ لِلْعَادَةِ الْعَامَّةِ, وَنَحْوِ ذَلِكَ فَيَشْتَغِلُ أَحَدُهُمْ بِهَذِهِ الْأُمُورِ عَمَّا أُمِرَ بِهِ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالشُّكْرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

فَهَذِهِ الْأُمُورُ وَنَحْوُهَا, كَثِيرًا مَا تَعْرِضُ لِأَهْلِ السُّلُوكِ وَالتَّوَجُّهِ, وَإِنَّمَا يَنْجُو الْعَبْدُ مِنْهَا بِمُلَازَمَةِ أَمْرِ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ .

وَذَلِكَ أَنَّ السُّنَّةَ كَمَا قَالَ مَالِكٌ -رَحِمَهُ اللَّهُ- : مِثْلُ سَفِينَةِ نُوحٍ; مَنْ رَكِبَهَا نَجَا, وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ [6] .

---

١ – قارن بما كتبته في كتابي "الدعوة إلى الله بين التجمع الحزبي والتعاون الشرعي" (ص ٤١ ــ ٤٨) تحت عنوان: "العمل الإسلامي بين الوسائل والغايات".

٢ – سورة هود آية : ١٢٣.

٣ – سورة الرعد آية : ٣٠.

٤ – سورة هود آية : ٨٨.

٥ – ككثير من مدعي الكرامات، وجلهم دجالون مخادعون مخاتلون!.

٦ – انظر "مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة" (ص١٢٩).

مَقْصُودُ الْعِبَادَةِ وَأَصْلُهَا

وَالْعِبَادَةُ وَالطَّاعَةُ وَالِاسْتِقَامَةُ وَلُزُومُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَقْصُودُهَا وَاحِدٌ, وَلَهَا أَصْلَانِ .

أَحَدُهُمَا أَنْ لَا يُعْبَدَ إِلَّا اللَّهُ .

الثَّانِي أَنْ يُعْبَدَ بِمَا أَمَرَ وَشَرَعَ, لَا يَعْبُدُهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالظُّنُونِ وَالْبِدَعِ .

قَالَ تَعَالَى ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [1] الْكَهْف ١١٠ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [2] الْبَقَرَة ١١٢ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [3] النِّسَاء ١٢٥ .

فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ هُوَ الْإِحْسَانُ, وَهُوَ فِعْلُ الْحَسَنَاتِ . وَالْحَسَنَاتُ هِيَ مَا أَحَبَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَهُوَ مَا أَمَرَ بِهِ أَمْرَ إِيجَابٍ أَوِ اسْتِحْبَابٍ .

فَمَا كَانَ مِنَ الْبِدَعِ فِي الدِّينِ الَّتِي لَيْسَتْ فِي الْكِتَابِ, وَلَا فِي

---

١ – سورة الكهف آية : ١١٠.

٢ – سورة البقرة آية : ١١٢.

٣ – سورة النساء آية : ١٢٥.

وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [1] الْكَهْف ١١٠ . وَقَوْلُهُ ﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ [2] الْبَقَرَة آيَةُ ١١٢ /؛ فَهُوَ إخْلَاصُ الدِّينِ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ اللَّهُمَّ! اجْعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحًا, وَاجْعَلْهُ لِوَجْهِكَ خَالِصًا, وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهِ شَيْئًا .

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ [3] فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ ﴾ [4] الْمُلْك ٢ . قَالَ أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ .

قَالُوا يَا أَبَا عَلِيٍّ! مَا أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ؟ .

قَالَ إنَّ الْعَمَلَ إذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ, وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ, حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا, وَالْخَالِصُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ, وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ [5] .

فَإِنْ قِيلَ فَإِذَا كَانَ جَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ دَاخِلًا فِي اسْمِ الْعِبَادَةِ; فَلِمَاذَا عَطَفَ عَلَيْهَا غَيْرَهَا; كَقَوْلِهِ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [6] فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ ﴾ [7] هُود ١٢٣ . وَقَوْلِ نُوحٍ ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ [8] نُوح ٣ . وَكَذَلِكَ قَوْلُ غَيْرِهِ مِنْ الرُّسُلِ؟! .

---

١ – سورة الكهف آية : ١١٠.

٢ – سورة النساء آية : ١٢٥.

٣ – إمام قدوة زاهد، توفي سنة (١٨٦هـ) ترجمته في "سير أعلام النبلاء" (٣٧٢/٨).

٤ – سورة الملك آية : ٢.

٥ – وفي كتابي "علم أصول البدع" تقرير متين –إن شاء الله– لهذه القاعدة.

٦ – سورة الفاتحة آية : ٥.

٧ – سورة هود آية : ١٢٣.

٨ – سورة نوح آية : ٣.

قِيلَ هَذَا لَهُ نَظَائِرُ, كَمَا فِي قَوْلِه ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [1] الْعَنْكَبُوت ٤٥ . وَالْفَحْشَاءُ مِنَ الْمُنْكَرِ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ﴾ [2] النَّحْل ٩٠ .

وَإِيتَاءُ ذِي الْقُرْبَى هُوَ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ, كَمَا أَنَّ الْفَحْشَاءَ وَالْبَغْيَ مِنَ الْمُنْكَرِ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [3] الْأَعْرَاف ١٧٠ . وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ مِنْ أَعْظَمِ التَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ عَنْ أَنْبِيَائِه ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [4] الْأَنْبِيَاء ٩٠ . وَدُعَاؤُهُمْ رَغَبًا وَرَهَبًا مِنَ الْخَيْرَاتِ .

وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ .

وَهَذَا الْبَابُ يَكُونُ تَارَةً مَعَ كَوْنِ أَحَدِهِمَا بَعْضَ الْآخَرِ, فَيُعْطَفُ عَلَيْهِ تَخْصِيصًا لَهُ بِالذِّكْرِ, لِكَوْنِه مَطْلُوبًا بِالْمَعْنَى الْعَامِّ وَالْمَعْنَى الْخَاصِّ .

وَتَارَةً دَلَالَةُ الِاسْمِ تَتَنَوَّعُ بِحَالِ الِانْفِرَادِ وَالِاقْتِرَانِ, فَإِذَا أُفْرِدَ عَمَّ, وَإِذَا قُرِنَ بِغَيْرِه خَصَّ, كَاسْمِ "الْفَقِيرِ" و"الْمِسْكِينِ", لَمَّا أُفْرِدَ أَحَدُهُمَا فِي مِثْلِ قَوْلِه ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [5] الْبَقَرَة ٢٧٣ . إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ ﴾ [6] الْمَائِدَة ٨٩ /؛ دَخَلَ فِيهِ الْآخَرُ .

---

١ – سورة العنكبوت آية : ٤٥.

٢ – سورة النحل آية : ٩٠.

٣ – سورة الأعراف آية : ١٧٠.

٤ – سورة الأنبياء آية : ٩٠.

٥ – سورة البقرة آية : ٢٧٣.

٦ – سورة المائدة آية : ٨٩.

وَلَمَّا قُرِنَ بَيْنَهُمَا فِي قَوْلِهِ ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ [1] التَّوْبَة ٦٠ ؛ صَارَا نَوْعَيْنِ [2] .

وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْخَاصَّ الْمَعْطُوفَ عَلَى الْعَامِّ لَا يَدْخُلُ فِي الْعَامِّ حَالَ الِاقْتِرَانِ; بَلْ يَكُونُ مِنْ هَذَا الْبَابِ .

وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ هَذَا لَيْسَ لَازِمًا .

قَالَ تَعَالَى ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ [3] الْبَقَرَة ٩٨ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ [4] الْأَحْزَاب ٧ .

وَذِكْرُ الْخَاصِّ مَعَ الْعَامِّ يَكُونُ لِأَسْبَابٍ مُتَنَوِّعَةٍ .

تَارَةً لِكَوْنِهِ لَهُ خَاصِّيَّةٌ لَيْسَتْ لِسَائِرِ أَفْرَادِ الْعَامِّ; كَمَا فِي نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى .

وَتَارَةً لِكَوْنِ الْعَامِّ فِيهِ إِطْلَاقٌ قَدْ لَا يُفْهَمُ مِنْهُ الْعُمُومُ, كَمَا فِي قَوْلِهِ ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [5] الْبَقَرَة ٢-٤ .

فَقَوْلُهُ ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [6] يَتَنَاوَلُ الْغَيْبَ الَّذِي يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ, لَكِنْ فِيهِ إِجْمَالٌ, فَلَيْسَ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مِنَ الْغَيْبِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ,

---

١ – سورة التوبة آية : ٦٠.

٢ – انظر "الفروق اللغوية" (ص ١٤٥) لأبي هلال العسكري، ففيه فائدة –حول هذا– لطيفة.

٣ – سورة البقرة آية : ٩٨.

٤ – سورة الأحزاب آية : ٧.

٥ – سورة البقرة آية : ٢–٤.

٦ – سورة البقرة آية : ٣.

ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [1] الْعَنْكَبُوت ٤٥ .

وَقَوْلُهُ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [2] الْأَعْرَاف ١٧٠ .

وَتِلَاوَةُ الْكِتَابِ هِيَ اتِّبَاعُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ, كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ [3] الْبَقَرَة ١٢١ ؛ قَالَ "يُحِلُّونَ حَلَالَهُ, وَيُحَرِّمُونَ حَرَامَهُ, وَيُؤْمِنُونَ بِمُتَشَابِهِهِ, وَيَعْمَلُونَ بِمُحْكَمِهِ" [4] .

فَاتِّبَاعُ الْكِتَابِ يَتَنَاوَلُ الصَّلَاةَ وَغَيْرَهَا; لَكِنْ خَصَّهَا بِالذِّكْرِ لِمَزِيَّتِهَا .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ لِمُوسَى ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾ [5] طَه ١٤ ، وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ لِذِكْرِهِ مِنْ أَجَلِّ عِبَادَتِهِ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [6] الْأَحْزَاب ٧٠ .

وَقَوْلُهُ ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [7] الْمَائِدَة ٣٥ .

وَقَوْلُهُ ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [8] التَّوْبَة ١١٩ .

---

١ – سورة العنكبوت آية : ٤٥.

٢ – سورة الأعراف آية : ١٧٠.

٣ – سورة البقرة آية : ١٢١.

٤ – أخرجه ابن جرير في "جامع البيان" (٥١٩/٢)، وعبد الرزاق في "تفسيره" (٥٦/١).

٥ – سورة طه آية : ١٤.

٦ – سورة الأحزاب آية : ٧٠.

٧ – سورة المائدة آية : ٣٥.

٨ – سورة التوبة آية : ١١٩.

فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ ﴾ [1] هُود ١٢٣ ؛ فَإِنَّ التَّوَكُّلَ وَالِاسْتِعَانَةَ هِيَ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ; لَكِنْ خُصَّتْ بِالذِّكْرِ لِيَقْصِدَهَا الْمُتَعَبِّدُ بِخُصُوصِهَا; فَإِنَّهَا هِيَ الْعَوْنُ عَلَى سَائِرِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ, إِذْ هُوَ سُبْحَانَهُ لَا يُعْبَدُ إِلَّا بِمَعُونَتِهِ .

١ – سورة هود آية : ١٢٣.

كَمَالُ الْمَخْلُوقِ فِي تَحْقِيقِ عُبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ

إِذَا تَبَيَّنَ هَذَا فَكَمَالُ الْمَخْلُوقِ فِي تَحْقِيقِ عُبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ, وَكُلَّمَا ازْدَادَ الْعَبْدُ تَحْقِيقًا لِلْعُبُودِيَّةِ ازْدَادَ كَمَالُهُ وَعَلَتْ دَرَجَتُهُ .

وَمَنْ تَوَهَّمَ أَنَّ الْمَخْلُوقَ يَخْرُجُ عَنِ الْعُبُودِيَّةِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ, أَوْ أَنَّ الْخُرُوجَ عَنْهَا أَكْمَلُ; فَهُوَ مِنْ أَجْهَلِ الْخَلْقِ, بَلْ مِنْ أَضَلِّهِمْ .

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴾ [1] الْأَنْبِيَاء ٢٦-٢٨ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴾ [2] مَرْيَم ٨٨-٩٥ .

وَقَالَ تَعَالَى فِي الْمَسِيحِ ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ [3] الزُّخْرُف ٥٩ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ [4] الْأَنْبِيَاء ١٩-٢٠ .

---

١ - سورة الأنبياء آية : ٢٦-٢٨.

٢ - سورة مريم آية : ٨٨-٩٥.

٣ - سورة الزخرف آية : ٥٩.

٤ - سورة الأنبياء آية : ١٩-٢٠.

لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [1] النِّسَاء ١٧٢١٧٣ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [2] غَافِر ٦٠ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴾ [3] فُصِّلَتْ ٣٧-٣٨ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴾ [4] الْأَعْرَاف ٢٠٥-٢٠٦ .

وَهَذَا وَنَحْوُهُ -مِمَّا فِيهِ وَصْفُ أَكَابِرِ الْخَلْقِ بِالْعِبَادَةِ, وَذَمِّ مَنْ خَرَجَ عَنْ ذَلِكَ- مُتَعَدِّدٌ فِي الْقُرْآنِ, وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَرْسَلَ جَمِيعَ الرُّسُلِ بِذَلِكَ; فَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [5] الْأَنْبِيَاء ٢٥ .

---

١ - سورة النساء آية : ١٧٢-١٧٣.

٢ - سورة غافر آية : ٦٠.

٣ - سورة فصلت آية : ٣٧-٣٨.

٤ - سورة الأعراف آية : ٢٠٥-٢٠٦.

٥ - سورة الأنبياء آية : ٢٥.

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّغُوتَ ﴾ [1] النَّحْل ٣٦ .

وَقَالَ تَعَالَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [2] الْعَنْكَبُوت ٥٦ ، ﴿ وَإِيَّـٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴾ [3] الْبَقَرَة ٤١ .

وَقَالَ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [4] الْبَقَرَة ٢١ .

وَقَالَ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [5] الذَّارِيَات ٥٦ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٢ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ [6] الزُّمَر ١١-١٥ .

وَكُلُّ رَسُولٍ مِنَ الرُّسُلِ افْتَتَحَ دَعْوَتَهُ بِالدُّعَاءِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهُ [7] ؛ كَقَوْلِ نُوحٍ وَمَنْ بَعْدَهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [8] الْمُؤْمِنُونَ ٢٣ .

---

١ – سورة النحل آية : ٣٦.

٢ – سورة العنكبوت آية : ٥٦.

٣ – سورة البقرة آية : ٤١.

٤ – سورة البقرة آية : ٢١.

٥ – سورة الذاريات آية : ٥٦.

٦ – سورة الزمر آية : ١١-١٥.

٧ – وهذا هو النهج الصحيح في الدعوة إلى الله.

٨ – سورة المؤمنون آية : ٢٣.

وَفِي "الْمُسْنَدِ" [1] عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ ﴿ بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ, وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي, وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي ﴾ .

وَقَدْ بَيَّنَ أَنَّ عِبَادَهُ هُمُ الَّذِينَ يَنْجُونَ مِنْ السَّيِّئَاتِ, قَالَ الشَّيْطَانُ [2] ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [3] .

قَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [4] الْحِجْر ٤٢ .

وَقَالَ ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [5] ص: ٨٢-٨٣ .

وَقَالَ فِي حَقِّ يُوسُفَ ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [6] يُوسُف ٢٤ .

وَقَالَ ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [7] الصَّافَّات ١٥٩-١٦٠ .

وَقَالَ ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ [1] النَّحْل ٩٩-١٠٠ .

---

١ - (٢/٥٠ و٩٢) بسند حسن، وقد خرجته مطولا في أوائل رسالة الحافظ ابن رجب الحنبلي في شرحه "الحكم الجديرة بالإذاعة"، يسر الله نشرها.

٢ - كما في سورة الحجر: آية ٣٩-٤٠ حكاية عنه.

٣ - سورة الحجر آية : ٣٩-٤٠.

٤ - سورة الحجر آية : ٤٢.

٥ - سورة ص آية : ٨٢-٨٣.

٦ - سورة يوسف آية : ٢٤.

٧ - سورة الصافات آية : ١٥٩-١٦٠.

وَبِالْعُبُودِيَّةِ نَعَتَ كُلَّ مَنِ اصْطَفَى مِنْ خَلْقِهِ فِي قَوْلِهِ ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [٢] ص: ٤٥-٤٧ .

وَقَوْلِهِ ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [٣] ص: ١٧ .

وَقَالَ عَنْ سُلَيْمَانَ ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [٤] ص: ٣٠ .

وَعَنْ أَيُّوبَ ﴿ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ﴾ [٥] ص: ٤٤ .

وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ [٦] ص: ٤١ .

وَقَالَ عَنْ نُوحٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [٧] الْإِسْرَاء ٣ .

وَقَالَ عَنْ خَاتَمِ رُسُلِهِ ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [٨] الْإِسْرَاء ١ .

]وَهُوَ أَوْلَى الْقِبْلَتَيْنِ [٩] وَقَدْ خَصَّهُ اللَّهُ بِأَنْ جَعَلَ الْعِبَادَةَ فِيهِ بِخَمْسِمِائَةِ ضِعْفٍ [١] .

---

١ – سورة النحل آية : ٩٩-١٠٠.

٢ – سورة ص آية : ٤٥-٤٧.

٣ – سورة ص آية : ١٧.

٤ – سورة ص آية : ٣٠.

٥ – سورة ص آية : ٤٤.

٦ – سورة ص آية : ٤١.

٧ – سورة الإسراء آية : ٣.

٨ – سورة الإسراء آية : ١.

٩ – ومن يقول متمما: "وثالث الحرمين الشريفين"! فقد جانب الصواب إذا لم يرد في السنة أنه (حَرَم)، ومضاعفة الصلاة شأن آخر كما لا يخفى على الفطن.

وَالْمَقْصُودُ بِمُضَاعَفَةِ الْحَسَنَاتِ هُوَ الْمَسْجِدُ الَّذِي حَرَقَهُ الْيَهُودُ [٢] عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ .

وَيَظُنُّ الْبَعْضُ أَنَّ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى هُوَ الصَّخْرَةُ وَالْقُبَّةُ الْمُحِيطَةُ بِهَا, وَلَيْسَ كَذَلِكَ [٣] .

وَقَالَ ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ [٤] الْجِنّ ١٩ .

وَقَالَ ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ [٥] الْبَقَرَة ٢٣ .

وَقَالَ ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [٦] النَّجْم ١٠ .

وَقَالَ ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ [٧] الْإِنْسَان ٦ .

وَقَالَ ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [٨] الْفُرْقَان ٦٣ .

وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ مُتَعَدِّدٌ فِي الْقُرْآنِ .

---

١ – كما رواه البزار في "مسنده" (٤٢٣) من طريق سعيد بن سلم القداح، عن سعيد بن بشير، عن إسماعيل بن عبيد الله، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء. ورواه ابن عبد البر في "التمهيد" (٣٠/٦) والطحاوي في "مشكل الآثار" (٢٤٨/١) وابن عدي في "الكامل" (١٢٣٤/٣) من طريق سعيد القداح به. وأورده السيوطي في "الدر المنثور" (٥٣/٢) وزاد نسبته لابن خزيمة، والطبراني، والبيهقي في "الشعب". والقداح وكذا سعيد بن بشير ضعيفان! والصواب في هذا ما رواه الحاكم (٥٠٩/٤) والضياء المقدسي في "فضائل بيت المقدس" (ص٥١): عن أبي ذر أن النبي –صلى الله عليه وسلم– سئل عن الصلاة في بيت المقدس أو مسجده؟ فقال: "صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات منه، ولنعم المصلى ..."؛ أي: مائتان وخمسون صلاة، وسنده جيد. وأورده الهيثمي في "المجمع" (٧/٤)، وزاد نسبته للطبراني "الأوسط" ثم قال: "ورجاله رجال الصحيح".

٢ – ولا زالوا يفعلون قاتلهم الله أنى يؤفكون!!.

٣ – زيادة من بعض النسخ.

٤ – سورة الجن آية : ١٩.

٥ – سورة البقرة آية : ٢٣.

٦ – سورة النجم آية : ١٠.

٧ – سورة الإنسان آية : ٦.

٨ – سورة الفرقان آية : ٦٣.

التَّفَاضُلِ فِي الْإِيمَانِ

.

إِذَا تَبَيَّنَ ذَلِكَ; فَمَعْلُومٌ أَنَّ النَّاسَ يَتَفَاضَلُونَ فِي هَذَا الْبَابِ تَفَاضُلًا عَظِيمًا, وَهُوَ تَفَاضُلُهُمْ فِي حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ .

وَهُمْ يَنْقَسِمُونَ فِيهِ إِلَى عَامٍّ وَخَاصٍّ, وَلِهَذَا كَانَتْ رُبُوبِيَّةُ الرَّبِّ لَهُمْ فِيهَا عُمُومٌ وَخُصُوصٌ

.

وَلِهَذَا كَانَ الشِّرْكُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ [1] .

وَفِي "الصَّحِيحِ" [2] ﴿ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ تَعِسَ عَبْدُ ﴾ .

فَسَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ عَبْدَ الدِّرْهَمِ, وَعَبْدَ الدِّينَارِ, وَعَبْدَ الْقَطِيفَةِ, وَعَبْدَ الْخَمِيصَةِ, وَذَكَرَ مَا فِيهِ, دُعَاءً وَخَبَرًا, وَهُوَ قَوْلُهُ "تَعِسَ وَانْتَكَسَ, وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ" .

وَالنَّقْشُ إِخْرَاجُ الشَّوْكَةِ مِنَ الرِّجْلِ, وَالْمِنْقَاشُ مَا يُخْرَجُ بِهِ الشَّوْكَةُ .

وَهَذِهِ حَالُ مَنْ إِذَا أَصَابَهُ شَرٌّ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ, وَلَمْ يُفْلِحْ لِكَوْنِهِ تَعِسَ وَانْتَكَسَ, فَلَا نَالَ الْمَطْلُوبَ, وَلَا خَلَصَ مِنَ الْمَكْرُوهِ, وَهَذِهِ حَالُ مَنْ عَبَدَ الْمَالَ .

وَقَدْ وُصِفَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا أُعْطِيَ رَضِيَ, وَإِذَا مُنِعَ سَخِطَ, قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [3] التَّوْبَة ٥٨.

---

١ – كما صح عن النبي –صلى الله عليه وسلم– فيما زواه أبو يعلى (٥٨) وابن السني (رقم: ٢٨١) والمروزي في "مسند أبي بكر" (١٧) عن طريق ابن جريج: أخبرني ليث بن أبي سليم، عن أبي محمد، عن حذيفة، عن أبي بكر الصديق وسنده ضعيف، لضعف ليث، وجهالة أبي محمد. وفي الباب عن عدة من الصحابة بأسانيد ضعيفة يقوي بعضها بعضا: في "المسند" (٤٠٣/٤) عن أبي موسى. وفي "الحلية" (١١٢/٧) من طريق آخر عن أبي بكر. ورواه ابن الجوزي في "العلل المتناهية" (١٣٧٨) والحاكم (٢٩١/٢) وأبو نعيم (٣٦٨/٨) عن عائشة. وفي "الحلية" (٣٦/٣) –كذلك– عن ابن عباس. وانظر "مجمع الزوائد" (٢٢٣/١٠) و"إتحاف السادة المتقين" (٤٧٠/٢) و/٧ /٣ ٠٤) و/٨ /٣ ١) و"المطالب العالية" (٣١٩٩) و"الدر المنثور" (١٧/٢).

٢ – "صحيح البخاري" (رقم: ٦٤٣٥) عن أبي هريرة. ورواه ابن ماجه (٤١٣٦) والبيهقي (١٥٩/٩) وغيرهم.

٣ – سورة التوبة آية : ٥٨.

فَرِضَاهُمْ لِغَيْرِ اللَّه، وَسَخَطُهُمْ لِغَيْرِ اللَّه وَهَكَذَا حَالُ مَنْ كَانَ مُتَعَلِّقًا بِرِئَاسَةٍ أَوْ بِصُورَةٍ, وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ أَهْوَاءِ نَفْسِه; إِنْ حَصَلَ لَهُ رَضِيَ, وَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ سَخِطَ، فَهَذَا عَبْدُ مَا يَهْوَاهُ مِنْ ذَلِكَ, وَهُوَ رَقِيقٌ لَهُ, إِذِ الرِّقُّ وَالْعُبُودِيَّةُ -فِي الْحَقِيقَةِ- هُوَ رِقُّ الْقَلْبِ وَعُبُودِيَّتُهُ, فَمَا اسْتَرَقَّ الْقَلْبَ وَاسْتَعْبَدَهُ, فَهُوَ عَبْدُهُ .

.

: [1] ﴿ فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [2] .

فَالْعَبْدُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ رِزْقٍ, وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى ذَلِكَ .

فَإِذَا طَلَبَ رِزْقَهُ مِنَ اللَّهِ صَارَ عَبْدًا لِلَّهِ, فَقِيرًا إِلَيْهِ .

١ – كما في سورة العنكبوت: آية ١٧، حكاية عنه.

٢ – سورة العنكبوت آية : ١٧.

.

فَكَانَ بَعْضُ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ السَّوْطُ مِنْ أَحَدِهِمْ وَلَا يَقُولُ لِأَحَدٍ نَاوِلْنِي إِيَّاهُ .

مَسْأَلَةُ الْخَالِقِ وَالنَّهْيُ عَنْ مَسْأَلَةِ الْمَخْلُوقِ

وَقَدْ دَلَّتِ النُّصُوصُ عَلَى الْأَمْرِ بِمَسْأَلَةِ الْخَالِقِ, ، و وَالنَّهْيِ عَنْ مَسْأَلَةِ الْمَخْلُوقِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ .

كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [1] الِانْشِرَاح ٧-٨ .

إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ, وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ﴾ [2] .

وَمِنْهُ قَوْلُ الْخَلِيلِ ﴿ فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ ﴾ [3] الْعَنْكَبُوت ، وَلَمْ يَقُلْ فَابْتَغَوْا الرِّزْقَ عِنْدَ اللَّهِ; لِأَنَّ تَقْدِيمِ الظَّرْفِ يُشْعِرُ بِالِاخْتِصَاصِ وَالْحَصْرِ, كَأَنَّهُ قَالَ لَا تَبْتَغُوا الرِّزْقَ إلَّا عِنْدَ اللَّهِ, وَقَدْ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [4] النِّسَاء ٣٢ .

وَالْإِنْسَانُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ حُصُولِ مَا يَحْتَاجُ إلَيْهِ مِنَ الرِّزْقِ وَنَحْوِهِ وَدَفْعِ مَا يَضُرُّهُ .

وَكِلَا الْأَمْرَيْنِ شُرِعَ لَهُ أَنْ يَكُونَ دُعَاؤُهُ لِلَّهِ, فَلَا يَسْأَلُ رِزْقَهُ إلَّا مِنَ اللَّهِ, وَلَا يَشْتَكِي إلَّا إلَيْهِ, كَمَا قَالَ يَعْقُوبُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [5] .

وَاللَّهُ -تَعَالَى- ذَكَرَ فِي الْقُرْآنِ الْهَجْرَ الْجَمِيلَ, وَالصَّفْحَ الْجَمِيلَ, وَالصَّبْرَ الْجَمِيلَ .

وَقَدْ قِيلَ إنَّ الْهَجْرَ الْجَمِيلَ هُوَ هَجْرٌ بِلَا أَذَىً .

---

١ - سورة الشرح آية : ٧-٨.

٢ - Takreej file not found.

٣ - سورة العنكبوت آية : ١٧.

٤ - سورة النساء آية : ٣٢.

٥ - سورة يوسف آية : ٨٦.

وَالصَّفْحَ الْجَمِيلَ صَفْحٌ بِلَا مُعَاتَبَةٍ .

وَالصَّبْرَ الْجَمِيلَ صَبْرٌ بِغَيْرِ شَكْوَى إِلَى الْمَخْلُوقِ .

الْحُرِّيَّةُ حُرِّيَّةُ الْقَلْبِ وَالْعُبُودِيَّةُ عُبُودِيَّةُ الْقَلْبِ

فَالْحُرِّيَّةُ حُرِّيَّةُ الْقَلْبِ, وَالْعُبُودِيَّةُ عُبُودِيَّةُ الْقَلْبِ, كَمَا أَنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ; قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ﴿ لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ, وَإِنَّمَا الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ ﴾ [1] [2] .

وَهَذَا -لَعَمْرُ اللَّهِ- إِذَا كَانَ قَدْ اسْتَعْبَدَ قَلْبَهُ صُورَةٌ مُبَاحَةٌ .

فَأَمَّا مَنِ اسْتَعْبَدَ قَلْبَهُ صُورَةٌ مُحَرَّمَةٌ -امْرَأَةٌ أَوْ صَبِيٌّ- فَهَذَا هُوَ الْعَذَابُ الَّذِي لَا يُدَانِيهِ عَذَابٌ .

وَهَؤُلَاءِ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ عَذَابًا, وَأَقَلِّهِمْ ثَوَابًا, فَإِنَّ الْعَاشِقَ لِصُورَةٍ إِذَا بَقِيَ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقًا بِهَا, مُسْتَعْبَدًا لَهَا; اجْتَمَعَ لَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الشَّرِّ

وَلَوْ سَلِمَ مِنْ فِعْلِ الْفَاحِشَةِ الْكُبْرَى; فَدَوَامُ تَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِهَا [3] بِلَا فِعْلِ الْفَاحِشَةِ أَشَدُّ ضَرَرًا عَلَيْهِ مِمَّنْ يَفْعَلُ ذَنْبًا ثُمَّ يَتُوبُ مِنْهُ وَيَزُولُ أَثَرُهُ مِنْ قَلْبِهِ [4] .

وَهَؤُلَاءِ يُشَبَّهُونَ بِالسُّكَارَى وَالْمَجَانِينِ, كَمَا قِيلَ .

سُكْرَانِ سُكْرُ هَوَىً, وَسُكْرُ مُدَامَةٍ

١ - سورة الفرقان آية : ٥٨.

٢ - أخرجه البخاري (٦٤٤٦) ومسلم (١٠٥١) والترمذي (٢٣٧٣) وأحمد (٢/٢٤٣ و٣٩٠) والحميد (١٠٦٣) وابن ماجه (٤١٣٧) والقضاعي (١٢١١) والبغوي (٤٠٤٠) عن أبي هريرة.

٣ - مع الغفلة عن ذكر الله -تعالى-، ودون مجاهدة لنفسه.

٤ - فهو يضعف الإيمان، ويقلل قيمة التعلق بالله -تعالى-، مما يؤدي إلى المعاصي والمخالفات الشرعية.

وَمَتَى إِفَاقَـــةُ مَـــنْ بِـــهِ سُـــكْرَانِ

وَقِيلَ:

قَالُوا جُنِنْتَ بِمَنْ تَهْوَى, فَقُلْتُ لَهُمْ

الْعِشْـــقُ أَعْظَـــمُ مِمَّـــا بِالْمَجَـــانِينِ

الْعِشْـــقُ لَا يَسْـــتَفِيقُ الدَّهْـــرَ صَاحِبُهُ

وَإِنَّمَـــا يُصْـــرَعُ الْمَجْـــنُونُ فِـــي الْحِـــينُ

وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ هَذَا الْبَلَاءِ إِعْرَاضُ الْقَلْبِ عَنِ اللَّهِ; ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا ذَاقَ طَعْمَ عِبَادَةِ اللَّهِ وَالْإِخْلَاصِ لَهُ; لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ شَيْءٌ قَطُّ أَحْلَى مِنَ ذَلِكَ, وَلَا أَلَذَّ وَلَا أَطْيَبَ .

وَالْإِنْسَانُ لَا يَتْرُكُ مَحْبُوبًا إِلَّا بِمَحْبُوبٍ آخَرَ يَكُونُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهُ, أَوْ خَوْفًا مِنْ مَكْرُوهٍ .

فَالْحَبُّ الْفَاسِدُ إِنَّمَا يَنْصَرِفُ الْقَلْبُ عَنْهُ بِالْحُبِّ الصَّالِحِ, أَوْ بِالْخَوْفِ مِنَ الضَّرَرِ .

قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ يُوسُفَ ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ [1] يُوسُف ٢٤ .

١ – سورة يوسف آية : ٢٤.

إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ ﴾ [1] الْعَنْكَبُوت ٤٥ .

فَإِنَّ الصَّلَاةَ فِيهَا دَفْعٌ لِلْمَكْرُوهِ; وَهُوَ الْفَحْشَاءُ وَالْمُنْكَرُ, وَفِيهَا تَحْصِيلُ الْمَحْبُوبِ; وَهُوَ ذِكْرُ اللَّهِ .

وَحُصُولُ هَذَا الْمَحْبُوبِ أَكْبَرُ مِنْ دَفْعِ ذَلِكَ الْمَكْرُوهِ, فَإِنَّ ذِكْرَ اللَّهِ عِبَادَةٌ لِلَّهِ, وَعِبَادَةُ الْقَلْبِ لِلَّهِ مَقْصُودَةٌ لِذَاتِهَا, وَأَمَّا انْدِفَاعُ الشَّرِّ عَنْهُ فَهُوَ مَقْصُودٌ لِغَيْرِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّبَعِ .

وَالْقَلْبُ خُلِقَ يُحِبُّ الْحَقَّ وَيُرِيدُهُ وَيَطْلُبُهُ, فَلَمَّا عَرَضَتْ لَهُ إِرَادَةُ الشَّرِّ طَلَبَ دَفْعَ ذَلِكَ, فَإِنَّهَا تُفْسِدُ الْقَلْبَ كَمَا يَفْسَدُ الزَّرْعُ بِمَا يَنْبُتُ فِيهِ مِنَ الدَّغَلِ [2] .

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [3] الشَّمْس ٩-١٠ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ [4] الْأَعْلَى ١٤-١٥ .

قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ ﴾ [5] النُّور ٣٠ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا ﴾ [6] النُّور ٢١ .

---

١ – سورة العنكبوت آية : ٤٥.

٢ – هو ما يفسد الأشياء إذا دخل إليها.

٣ – سورة الشمس آية : ٩-١٠.

٤ – سورة الأعلى آية : ١٤-١٥.

٥ – سورة النور آية : ٣٠.

٦ – سورة النور آية : ٢١.

فَجَعَلَ سُبْحَانَهُ غَضَّ الْبَصَرِ, وَحِفْظَ الْفَرْجِ هُوَ أَزْكَى لِلنَّفَسِ, وَبَيَّنَ أَنَّ تَرْكَ الْفَوَاحِشِ مِنْ زَكَاةِ النُّفُوسِ, وَزَكَاةُ النُّفُوسِ تَتَضَمَّنُ زَوَالَ جَمِيعِ الشُّرُورِ; مِنَ الْفَوَاحِشِ, وَالظُّلْمِ, وَالشِّرْكِ, وَالْكَذِبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

طَلَبُ الرِّئَاسَةِ وَالْعُلُوِّ فِي الْأَرْضِ

وَكَذَلِكَ طَالِبُ الرِّئَاسَةِ وَالْعُلُوِّ فِي الْأَرْضِ; قَلْبُهُ رَقِيقٌ لِمَنْ يُعِينُهُ عَلَيْهَا, وَلَوْ كَانَ فِي الظَّاهِرِ مُقَدَّمَهُمْ وَالْمُطَاعَ فِيهِمْ, فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ يَرْجُوهُمْ وَيَخَافُهُمْ, فَيَبْذُلُ لَهُمْ الْأَمْوَالَ وَالْوِلَايَاتِ, وَيَعْفُو عَمَّا يَجْتَرِحُونَهُ? لِيُطِيعُوهُ وَيُعِينُوهُ; فَهُوَ فِي الظَّاهِرِ رَئِيسٌ مُطَاعٌ, وَفِي الْحَقِيقَةِ عَبْدٌ مُطِيعٌ لَهُمْ [1] .

وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ كِلَاهُمَا فِيهِ عُبُودِيَّةٌ لِلْآخَرِ, وَكِلَاهُمَا تَارِكٌ لِحَقِيقَةِ عِبَادَةِ اللَّهِ, وَإِذَا كَانَ تَعَاوُنُهُمَا عَلَى الْعُلُوِّ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ; كَانَا بِمَنْزِلَةِ الْمُتَعَاوِنَيْنِ عَلَى الْفَاحِشَةِ أَوْ قَطْعِ الطَّرِيقِ; فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الشَّخْصَيْنِ -لِهَوَاهُ الَّذِي اسْتَعْبَدَهُ وَاسْتَرَقَّهُ- مُسْتَعْبِدٌ لِلْآخَرِ .

إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ [2] الْمَعَارِج ٢٠، ٢١ .

وَمِنْهَا مَا لَا يَحْتَاجُ الْعَبْدُ إِلَيْهِ, فَهَذَا لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُعَلِّقَ قَلْبَهُ بِهَا, فَإِذَا تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِهَا صَارَ مُسْتَعْبَدًا لَهَا, وَرُبَّمَا صَارَ مُعْتَمِدًا عَلَى غَيْرِ اللَّهِ, فَلَا يَبْقَى مَعَهُ حَقِيقَةُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ; وَلَا حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ; بَلْ فِيهِ شُعْبَةٌ مِنَ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ وَشُعْبَةٌ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ, وَهَذَا مِنْ أَحَقِّ النَّاسِ بِقَوْلِهِ ﷺ -: ﴿ تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ, تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ, تَعِسَ عَبْدُ الْقَطِيفَةِ, تَعِسَ عَبْدُ

١ – فليأمل هذا جيدا الحزبيون المخالفون للكتاب والسنة، بصدودهم عن علمائهم، ومخالفتهم لأهل السنة؛ إرضاء لمن نصبوهم وجعلوهم "قياديين" لهم ولغيرهم، فهم يخشون ذهاب المنصب والكرسي والجاه والرئاسة، ولذا فهم لا يسمعون، وإن سمعوا لا يستجيبون، وإن استجابوا فهم يموهون!!.

٢ – سورة المعارج آية : ٢٠-٢١.

الْخَمِيصَةِ ﴾ [1] [2] وَهَذَا هُوَ عَبْدُ هَذِهِ الْأُمُورِ; فَلَوْ طَلَبَهَا مِنَ اللَّهِ; فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَعْطَاهُ إِيَّاهَا رَضِيَ, وَإِذَا مَنَعَهُ إِيَّاهَا سَخِطَ, وَإِنَّمَا عَبْدُ اللَّهِ مَنْ يُرْضِيهِ مَا يُرْضِي اللَّهَ وَيُسْخِطُهُ مَا يُسْخِطُ اللَّهَ, وَيُحِبُّ مَا أَحَبَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ, وَيُبْغِضُ مَا أَبْغَضَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ, يُوَالِي أَوْلِيَاءَ اللَّهِ, وَيُعَادِي أَعْدَاءَ اللَّهِ تَعَالَى .

وَهَذَا هُوَ الَّذِي اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ; كَمَا فِي الْحَدِيثِ .

مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ, وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ; فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ ﴾ [3] .

وَقَالَ ﴿ أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ, وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ ﴾ [4] .

وَفِي "الصَّحِيحِ" عَنْهُ ﷺ ـــ: ﴿ ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا, وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ, وَمَنْ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجِعَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ ﴾ [5] .

فَهَذَا وَافَقَ رَبَّهُ فِيمَا يُحِبُّهُ وَمَا يَكْرَهُهُ, فَكَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا, وَأَحَبَّ الْمَخْلُوقَ لِلَّهِ لَا لِغَرَضٍ آخَرَ, فَكَانَ هَذَا مِنْ تَمَامِ حُبِّهِ لِلَّهِ, فَإِنَّ مَحَبَّةَ مَحْبُوبِ الْمَحْبُوبِ مِنْ تَمَامِ مَحَبَّةِ الْمَحْبُوبِ, فَإِذَا أَحَبَّ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ وَأَوْلِيَاءَ اللَّهِ لِأَجْلِ قِيَامِهِمْ بِمَحْبُوبَاتِ الْحَقِّ لَا لِشَيْءٍ

---

١ – سورة المعارج آية : ٢٠-٢١.

٢ – تقدم تخريجه (ص٦٣).

٣ – Takreej file not found.

٤ – Takreej file not found.

٥ – Takreej file not found.

حَقِيقَةُ الْمَحَبَّةِ

فَحَقِيقَةُ الْمَحَبَّةِ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِمُوَالَاةِ الْمَحْبُوبِ, وَهُوَ مُوَافَقَتُهُ فِي حُبِّ مَا يُحِبُّ وَبُغْضِ مَا يُبْغِضُ, وَاللَّهُ يُحِبُّ الْإِيمَانَ وَالتَّقْوَى, وَيُبْغِضُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ .

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْحُبَّ يُحَرِّكُ إِرَادَةَ الْقَلْبِ, فَكُلَّمَا قَوِيَت الْمَحَبَّةُ فِي الْقَلْبِ طَلَبَ فِعْلَ الْمَحْبُوبَاتِ, فَإِذَا كَانَتِ الْمَحَبَّةُ تَامَّةً اسْتَلْزَمَتْ إِرَادَةً جَازِمَةً فِي حُصُولِ الْمَحْبُوبَاتِ; فَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ قَادِرًا عَلَيْهَا حَصَّلَهَا, وَإِنْ كَانَ عَاجِزًا عَنْهَا فَفَعَلَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ; كَانَ لَهُ كَأَجْرِ الْفَاعِلِ; كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿ مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعَهُ; مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ, وَمَنْ دَعَا ﴾ (١) (٢) .

وَقَالَ ﴿ إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ قَالُوا وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟! قَالَ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ; حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ ﴾ (٣) (٤) .

وَالْجِهَادُ هُوَ بَذْلُ الْوُسْعِ وَهُوَ كُلُّ مَا يَمْلِكُ مِنَ الْقُدْرَةِ فِي حُصُولِ مَحْبُوبِ الْحَقِّ، وَدَفْعِ مَا يَكْرَهُهُ الْحَقُّ .

فَإِذَا تَرَكَ الْعَبْدُ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ; كَانَ دَلِيلًا عَلَى ضَعْفِ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي قَلْبِهِ .

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمَحْبُوبَاتِ لَا تُنَالُ غَالِبًا إِلَّا بِاحْتِمَالِ الْمَكْرُوهَاتِ, سَوَاءٌ كَانَتْ مَحَبَّةً صَالِحَةً أَوْ فَاسِدَةً .

---

١ – سورة التوبة آية : ٢٤.

٢ – رواه مسلم (٢٦٧٤) وأبو داود (٤٦٠٩) والترمذي (٢٦٧٤) والدارمي (١/١٢٦-١٢٧) وابن ماجة (٢٠٦) وأحمد (٢/٣٩٧) والبغوي (١/٢٣٢) عن أبي هريرة.

٣ – رواه مسلم (٢٦٧٤) وأبو داود (٤٦٠٩) والترمذي (٢٦٧٤) والدارمي (١/١٢٦-١٢٧) وابن ماجة (٢٠٦) وأحمد (٢/٣٩٧) والبغوي (١/٢٣٢) عن أبي هريرة.

٤ – رواه البخاري (٤٤٢٣) وأحمد (٣/١٠٣) وأبو داود (٢٥٠٨) وابن ماجة (٢٧٦٤) عن أنس. ورواه مسلم (١٩١١) وابن ماجة (٢٧٦٥) وأحمد (٣/٣٤١) عن جابر.

فَالْمُحِبُّونَ لِلْمَالِ وَالرِّئَاسَةِ وَالصُّورِ, لَا يَنَالُونَ مَطَالِبَهُمْ إِلَّا بِضَرَرٍ يَلْحَقُهُمْ فِي الدُّنْيَا, مَعَ مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الضَّرَرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

فَالْمُحِبُّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ إِذَا لَمْ يَحْتَمِلْ مَا يَرَى ذُو الرَّأْيِ مِنَ الْمُحِبِّينَ لِغَيْرِ اللَّهِ مِمَّا يَحْتَمِلُونَ فِي سَبِيلِ حُصُولِ مَحْبُوبِهِمْ; دَلَّ ذَلِكَ عَلَى ضَعْفِ مَحَبَّتِهِمْ لِلَّهِ; إِذَا كَانَ مَا يَسْلُكُهُ أُولَئِكَ – فِي نَظَرِهِمْ– هُوَ الطَّرِيقُ

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [1] الْبَقَرَةُ ١٦٥ .

نَعَمْ; قَدْ يَسْلُكُ الْمُحِبُّ لِضَعْفِ عَقْلِهِ وَفَسَادِ تَصَوُّرِهِ طَرِيقًا لَا يَحْصُلُ بِهَا الْمَطْلُوبُ, فَمِثْلُ هَذِهِ الطَّرِيقِ لَا تُحْمَدُ إِذَا كَانَتِ الْمَحَبَّةُ صَالِحَةً مَحْمُودَةً, فَكَيْفَ إِذَا كَانَتِ الْمَحَبَّةُ فَاسِدَةً وَالطَّرِيقُ غَيْرَ مُوصِلٍ؟ كَمَا يَفْعَلُهُ الْمُتَهَوِّرُونَ فِي طَلَبِ الْمَالِ وَالرِّئَاسَةِ وَالصُّورِ فِي حُبِّ أُمُورٍ تُوجِبُ لَهُمْ ضَرَرًا, وَلَا تُحَصِّلُ لَهُمْ مَطْلُوبًا! وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ الطُّرُقُ الَّتِي يُشَكِّلُهَا الْعَقْلُ السَّلِيمُ لِحُصُولِ مَطْلُوبِهِ .

وَإِذَا تَبَيَّنَ هَذَا; فَكُلَّمَا ازْدَادَ الْقَلْبُ حُبًّا لِلَّهِ ازْدَادَ لَهُ عُبُودِيَّةً, وَكُلَّمَا ازْدَادَ لَهُ عُبُودِيَّةً, ازْدَادَ لَهُ حُبًّا وَفَضَّلَهُ عَمَّا سِوَاهُ, وَالْقَلْبُ فَقِيرٌ بِالذَّاتِ إِلَى اللَّهِ مِنْ وَجْهَيْنِ .

مِنْ جِهَةِ الْعِبَادَةِ, وَهِيَ الْعِلَّةُ الْغَائِيَّةُ [2] .

وَمِنْ جِهَةِ الِاسْتِعَانَةِ وَالتَّوَكُّلِ; وَهِيَ الْعِلَّةُ الْفَاعِلَةُ [3] .

---

١ – سورة البقرة آية : ١٦٥.

٢ – أي: الغاية التي خلق الله –تعالى– الخلق من أجلها، وهي ذات العبادة، وانظر"درء التعارض" (٣٢٩/١) و (١١٠/٣).

٣ – ويقال: الفاعلية، أي: أنه لا يستطيع القيام بلوازم العبادة وأركانها إلا إذا يسر الله له فعلها وسبلها، وذلك بالاستعانة بالله والتوكل عليه: انظر "التعريفات" (ص١٦٠) للجرجاني.

صَلَاحُ الْقَلْبِ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ

فَالْقَلْبُ لَا يَصْلُحُ, وَلَا يُفْلِحُ, وَلَا يَلْتَذُّ, وَلَا يُسَرُّ, وَلَا يَطِيبُ, وَلَا يَسْكُنُ, وَلَا يَطْمَئِنُّ إِلَّا بِعِبَادَةِ رَبِّهِ وَحُبِّهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ,

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [1] فَإِنَّهُ لَوْ أُعِينَ عَلَى حُصُولِ مَا يُحِبُّهُ وَيَطْلُبُهُ وَيَشْتَهِيهِ وَيُرِيدُهُ, وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ عِبَادَةٌ لِلَّهِ; فَلَنْ يَحْصُلَ إِلَّا عَلَى الْأَلَمِ وَالْحَسْرَةِ وَالْعَذَابِ, وَلَنْ يَخْلُصَ مِنْ آلَامِ الدُّنْيَا وَنَكَدِ عَيْشِهَا, إِلَّا بِإِخْلَاصِ الْحُبِّ لِلَّهِ, بِحَيْثُ يَكُونُ هُوَ غَايَةَ مُرَادِهِ, وَنِهَايَةَ مَقْصُودِهِ, وَهُوَ الْمَحْبُوبُ لَهُ بِالْقَصْدِ الْأَوَّلِ, وَكُلُّ مَا سِوَاهُ إِنَّمَا يُحِبُّهُ لِأَجْلِهِ, لَا يُحِبُّ شَيْئًا لِذَاتِهِ إِلَّا اللَّهَ .

فَمَتَى لَمْ يَحْصُلْ لَهُ هَذَا; لَمْ يَكُنْ قَدْ حَقَّقَ حَقِيقَةَ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ", وَلَا حَقَّقَ التَّوْحِيدَ وَالْعُبُودِيَّةَ وَالْمَحَبَّةَ لِلَّهِ, وَكَانَ فِيهِ مِنْ نَقْصِ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ -بَلْ مِنَ الْأَلَمِ وَالْحَسْرَةِ وَالْعَذَابِ- بِحَسَبِ ذَلِكَ, وَلَوْ سَعَى فِي هَذَا الْمَطْلُوبِ, وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ, مُفْتَقِرًا إِلَيْهِ فِي حُصُولِهِ, لَمْ يَحْصُلْ لَهُ, فَإِنَّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ, وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ, فَهُوَ مُفْتَقِرٌ إِلَى اللَّهِ; مِنْ حَيْثُ هُوَ الْمَطْلُوبُ الْمَحْبُوبُ الْمُرَادُ الْمَعْبُودُ, وَمِنْ حَيْثُ هُوَ الْمَسْؤُولُ الْمُسْتَعَانُ بِهِ الْمُتَوَكَّلُ عَلَيْهِ, فَهُوَ إِلَهُهُ لَا إِلَهَ لَهُ غَيْرُهُ, وَهُوَ رَبُّهُ لَا رَبَّ لَهُ سِوَاهُ .

وَلَا تَتِمُّ عُبُودِيَّتُهُ لِلَّهِ إِلَّا بِهَذَيْنِ; فَمَتَى كَانَ يُحِبُّ غَيْرَ اللَّهِ لِذَاتِهِ,

---

١ - سورة الفاتحة آية : ٥.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي "الصَّحِيحِ" [١] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ, كَمَا أَنَّ النَّارَ لَا يَخْلُدُ فِيهَا مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ, فَجَعَلَ الْكِبْرَ مُقَابِلًا لِلْإِيمَانِ, فَإِنَّ الْكِبْرَ يُنَافِي حَقِيقَةَ الْعُبُودِيَّةِ .

كَمَا ثَبَتَ فِي "الصَّحِيحِ" [٢] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ الْعَظَمَةُ إِزَارِي, وَالْكِبْرِيَاءِ رِدَائِي, فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ ﴾ [٣] .

فَالْعَظَمَةُ وَالْكِبْرِيَاءُ مِنْ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ, وَالْكِبْرِيَاءُ أَعْلَى مِنَ الْعَظَمَةِ, وَلِهَذَا جَعَلَهَا بِمَنْزِلَةِ الرِّدَاءِ, كَمَا جَعَلَ الْعَظَمَةَ بِمَنْزِلَةِ الْإِزَارِ .

وَلِهَذَا كَانَ شِعَارُ الصَّلَوَاتِ وَالْأَذَانِ وَالْأَعْيَادِ هُوَ التَّكْبِيرُ, وَكَانَ مُسْتَحَبًّا فِي الْأَمْكِنَةِ الْعَالِيَةِ كَالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ [٤] وَإِذَا عَلَا الْإِنْسَانُ شَرَفًا [٥] أَوْ رَكِبَ دَابَّةً [٦] وَنَحْوَ ذَلِكَ, وَبِهِ يُطْفَأُ الْحَرِيقُ وَإِنْ عَظُمَ [٧] .

---

١ – رواه مسلم (رقم:٩١) والترمذي (١٩٩٨) و (١٩٩٩) وأبو داود (٤٠٩١) وابن ماجة (٥٩) و (٤١٧٣) والطبراني في "الكبير" (١٠٠٠٠) عن ابن مسعود.

٢ – رواه مسلم (رقم: ٢٦٢٠) بلفظ الحديث النبوي: "العز إزاره..". وقال الحميدي: "كذا فيما رأينا من نسخ "كتاب مسلم" وأخرج البرقاني من الطريق الذي أخرجه مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة .." فذكره كما ذكره المصنف ثم قال: "وهكذا أخرجه أبو مسعود في كتابه". كذا في "جامع الأصول" (٦١٣/١٠) و"الترغيب والترهيب" (١٦/٤). وأخرجه أبو داود ٠٤٠٩٠) وابن ماجه (٤١٧٤) وأحمد (٤١٤/٢ و٢٤٨ و٣٧٦ و٤٢٧ و٤٤٢) باللفظ الذي ذكره المصنف.

٣ – رواه مسلم (رقم: ٢٦٢٠) بلفظ الحديث النبوي: "العز إزاره..". وقال الحميدي: "كذا فيما رأينا من نسخ "كتاب مسلم" وأخرج البرقاني من الطريق الذي أخرجه مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة .." فذكره كما ذكره المصنف ثم قال: "وهكذا أخرجه أبو مسعود في كتابه". كذا في "جامع الأصول" (٦١٣/١٠) و"الترغيب والترهيب" (١٦/٤). وأخرجه أبو داود ٠٤٠٩٠) وابن ماجه (٤١٧٤) وأحمد (٤١٤/٢ و٢٤٨ و٣٧٦ و٤٢٧ و٤٤٢) باللفظ الذي ذكره المصنف.

٤ – كما رواه مسلم (١٢١٨) وأبو داود (١٩٠٧) ومالك (٣٧٢/١) وابن ماجه (٣٠٧٤) عن جابر.

٥ – أخرجه البخاري (٦٣٨٥) ومسلم (١٣٤٤) وابن السني (٥١٩) ومالك (٤٢١/١) وأبو داود (٢٧٧٠) وغيرهم عن ابن عمر.

٦ – كما رواه مسلم (١٣٤٢) والتزمذي (٣٤٤٤) وابن داود (٢٥٩٩) عن ابن عمر.

٧ – أورد هذا الحديث المصنف –رحمه الله– في "الكلم الطيب" (رقم: ٢٢١) مصدرا له بصيغة التمريض: "يذكر .." وأخرج الحديث العقيلي في "الضعفاء" (٢٩٦/٢) وابن عدي في "الكامل" (١٤٦٩/٤) وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٢٨٩–٢٩٢) من طرق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وهذه الطرق –إلى عمرو– كلها ضعيفة جدا. وله طرق أخرى في "تاريخ جرجان" (٤١٤) و"الكنى والأسماء" (١٣٧/٢) للدولابي، و"الدعاء" (١٠٠١) و"الكامل" (١٧٦٧/٥) و"المطالب العالية" (٣٤٢٤) و"المقاصد الحسنة"، فلعلي أفرغ –إن شاء الله– لتتقيدها في موضع آخر.

وَعِنْدَ الْأَذَانِ يَهْرَبُ الشَّيْطَانُ [1] .

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [2] غَافِرٍ ٦٠ .

وَكُلُّ مَنِ اسْتَكْبَرَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ لَا بُدَّ أَنْ يَعْبُدَ غَيْرَهُ, فَإِنَّ الْإِنْسَانَ حَسَّاسٌ يَتَحَرَّكُ بِالْإِرَادَةِ .

وَقَدْ ثَبَتَ فِي "الصَّحِيحِ" [3] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ ﴿ أَصْدَقُ الْأَسْمَاءِ حَارِثٌ وَهَمَّامٌ ﴾ [4]

.

فَالْحَارِثُ الْكَاسِبُ الْفَاعِلُ, وَالْهَمَّامُ فَعَّالٌ مِنَ الْهَمِّ, وَالْهَمُّ أَوَّلُ الْإِرَادَةِ, فَالْإِنْسَانُ لَهُ إِرَادَةٌ دَائِمًا, وَكُلُّ إِرَادَةٍ فَلَا بُدَّ لَهَا مِنْ مُرَادٍ تَنْتَهِي إِلَيْهِ, فَلَا بُدَّ لِكُلِّ عَبْدٍ مِنْ مُرَادٍ مَحْبُوبٍ هُوَ مُنْتَهَى حُبِّهِ وَإِرَادَتِهِ, فَمَنْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ مَعْبُودَهُ وَمُنْتَهَى حُبِّهِ وَإِرَادَتِهِ, بَلْ اسْتَكْبَرَ عَنْ ذَلِكَ; فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ مُرَادٌ مَحْبُوبٌ يَسْتَعْبِدُهُ غَيْرَ اللَّهِ فَيَكُونَ عَبْدًا لِذَلِكَ الْمُرَادِ الْمَحْبُوبِ إِمَّا الْمَالُ, وَإِمَّا الْجَاهُ, وَإِمَّا الصُّوَرُ, وَإِمَّا مَا يَتَّخِذُهُ

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [5] إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ

---

١ – كما رواه البخاري (٢/٦٩–٧٠) ومسلم (٣٨٩) ومالك (١/٦٩–٧٠) وأبو داود (٥١٦) والنسائي (٢/٢١–٢٢) عن أبي هريرة.

٢ – سورة غافر آية : ٦٠.

٣ – رواه مسلم (رقم: ٢١٣٢)، ولكن لفظه: "أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن" عن ابن عمر. ورواه الترمذي (٢٨٣٥) وأبو داود (٢/٥٨٤). وأما حديث: "أصدق الأسماء الحارث وهمام" فقد رواه ابن وهب في "جامعه" (ص٧) عن عبد الله بن عامر اليحصبي مرسلا بإسناد صحيح. وله شاهد موصول أخرجه أحمد (٤/٣٤٥) وأبو داود (٤٩٥٠) والنسائي ٦/٢١٨) عن أبي وهب الجشمي بسند فيه ضعف، فيقوى به –إن شاء الله–. وانظر "موارد الأمان ..." (ص٦٥ – ٦٦).

٤ – رواه مسلم (رقم: ٢١٣٢)، ولكن لفظه: "أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن" عن ابن عمر. ورواه الترمذي (٢٨٣٥) وأبو داود (٢/٥٨٤). وأما حديث: "أصدق الأسماء الحارث وهمام" فقد رواه ابن وهب في "جامعه" (ص٧) عن عبد الله بن عامر اليحصبي مرسلا بإسناد صحيح. وله شاهد موصول أخرجه أحمد (٤/٣٤٥) وأبو داود (٤٩٥٠) والنسائي ٦/٢١٨) عن أبي وهب الجشمي بسند فيه ضعف، فيقوى به –إن شاء الله–. وانظر "موارد الأمان ..." (ص٦٥ – ٦٦).

٥ – سورة غافر آية : ٢٣–٢٤.

بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ [1] إِلَى قَوْلِهِ ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [2] غَافِرٍ ٢٣-٣٥ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴾ [3] الْعَنْكَبُوتِ ٣٩ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ ﴾ [4] إِلَى قَوْلِهِ ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [5] الْقَصَصِ ٤٠ .

وَقَالَ ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [6] النَّمْلِ ١٤ .

وَمِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ .

وَقَدْ وُصِفَ فِرْعَوْنُ بِالشِّرْكِ فِي قَوْلِهِ ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ ﴾ [7] الْأَعْرَافِ ١٢٦ .

١ – سورة غافر آية : ٢٧.

٢ – سورة غافر آية : ٣٥.

٣ – سورة العنكبوت آية : ٣٩.

٤ – سورة القصص آية : ٤.

٥ – سورة القصص آية : ٤٠.

٦ – سورة النمل آية : ١٤.

٧ – سورة الأعراف آية : ١٢٧.

ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [1] التَّوْبَة ٣١ .

وَقَالَ فِي الْيَهُودِ ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴾ [2] الْبَقَرَة ٨٧].

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا ﴾ [3] الْأَعْرَاف ١٤٦ .

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [4] النِّسَاء ٤٨ .

وَقَالَ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [5] النِّسَاء ١١٦ .

١ – سورة التوبة آية : ٣١.

٢ – سورة البقرة آية : ٨٧.

٣ – سورة الأعراف آية : ١٤٦.

٤ – سورة النساء آية : ٤٨.

٥ – سورة النساء آية : ١١٦.

إِنَّ اَلدِّينَ عِنْدَ اَللَّهِ اَلْإِسْلَامُ

كَانَ اَلْأَنْبِيَاءُ جَمِيعُهُمْ مَبْعُوثِينَ بِدِينِ اَلْإِسْلَامِ, فَهُوَ اَلدِّينُ اَلَّذِي لَا يَقْبَلُ اَللَّهُ غَيْرَهُ, لَا مِنْ اَلْأَوَّلِينَ وَلَا مِنْ اَلْآخِرِينَ .

قَالَ نُوحٌ ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) (٢) .

وَقَالَ فِي حَقِّ إِبْرَاهِيمَ ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٣) إِلَى قَوْلِهِ ﴿ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (٤) اَلْبَقَرَة ١٣٠ – ١٣٢ .

وَقَالَ يُوسُفُ ﴿ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (٥) (٦) .

وَقَالَ مُوسَى ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ (٧) (٨) .

١ – سورة يونس آية : ٧٢.

٢ – كما في سورة يونس: ٧٢، حكاية عنه.

٣ – سورة البقرة آية : ١٣٠–١٣١.

٤ – سورة البقرة آية : ١٣٢.

٥ – سورة يوسف آية : ١٠١.

٦ – في سورة يوسف: آية ١٠١، حكاية عنه.

٧ – سورة يونس آية : ٨٤–٨٥.

٨ – في سورة يونس: آية ٨٤ – ٨٥، حكاية عنه.

إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ [1] ٱلۡمَائِدَة ٤٤ .

وَقَالَتۡ بِلۡقِيسُ ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [2] [3] .

وَقَالَ ﴿ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴾ [4] ٱلۡمَائِدَة ١١١ .

وَقَالَ ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [5] آلِ عِمۡرَانَ ١٩ .

وَقَالَ ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾ [6] آلِ عِمۡرَانَ ٨٥ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا ﴾ [7] آلِ عِمۡرَانَ ٨٣ .

فَذَكَرَ إِسْلَامَ اَلْكَائِنَاتِ طَوْعًا وَكَرْهًا; لِأَنَّ اَلْمَخْلُوقَاتِ جَمِيعَهَا مُتَعَبِّدَةٌ لَهُ اَلتَّعَبُّدَ اَلْعَامَّ, سَوَاءٌ أَقَرَّ اَلْمُقِرُّ بِذَلِكَ أَوْ أَنْكَرَهُ, وَهُمْ مَدِينُونَ لَهُ مُدَبَّرُونَ, فَهُمْ مُسْلِمُونَ لَهُ طَوْعًا وَكَرْهًا, لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ اَلْمَخْلُوقَاتِ خُرُوجٌ عَمَّا شَاءَهُ وَقَدَّرَهُ وَقَضَاهُ, وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ, وَهُوَ رَبُّ اَلْعَالَمِينَ وَمَلِيكُهُمْ, يُصَرِّفُهُمْ كَيْفَ يَشَاءُ, وَهُوَ خَالِقُهُمْ كُلِّهِمْ, وَبَارِئُهُمْ وَمُصَوِّرُهُمْ .

---

١ – سورة المائدة آية : ٤٤.

٢ – سورة النمل آية : ٤٤.

٣ – كما في سورة النمل: آية ٤٤، حكاية عنها.

٤ – سورة المائدة آية : ١١١.

٥ – سورة آل عمران آية : ١٩.

٦ – سورة آل عمران آية : ٨٥.

٧ – سورة آل عمران آية : ٨٣.

كُلُّ مَا سِوَاهُ فَهُوَ مَرْبُوبٌ مَصْنُوعٌ مَفْطُورٌ, فَقِيرٌ مُحْتَاجٌ مُعَبَّدٌ مَقْهُورٌ وَهُوَ -سُبْحَانَهُ- اَلْوَاحِدُ اَلْقَهَّارُ اَلْخَالِقُ الْبَارِئُ اَلْمُصَوِّرُ .

وَهُوَ -وَإِنْ كَانَ قَدْ خَلَقَ مَا خَلَقَهُ بِأَسْبَابٍ; فَهُوَ خَالِقُ اَلسَّبَبِ

أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [1] اَلزُّمَرِ ٣٨ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [2] اَلْأَنْعَامِ ١٧ .

وَقَالَ تَعَالَى عَنْ اَلْخَلِيلِ ﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ ﴾ [3] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [4] اَلْأَنْعَامِ ٧٨-٨٢ .

وَفِي "اَلصَّحِيحَيْنِ" [5] عَنْ عَبْدِ اَللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ هَذِهِ اَلْآيَةَ لَمَّا نَزَلَتْ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ اَلنَّبِيِّ ﷺ وَقَالُوا ﴿ يَا رَسُولَ اَللَّهِ! أَيُّنَا لَمْ يَلْبِسْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ؟ فَقَالَ "إِنَّمَا هُوَ اَلشِّرْكُ, أَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ اَلْعَبْدِ اَلصَّالِحِ "إِنَّ اَلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" ﴾ [6] لُقْمَانَ ١٣ .

---

١ - سورة الزمر آية : ٣٨.

٢ - سورة الأنعام آية : ١٧.

٣ - سورة الأنعام آية : ٧٨-٨٠.

٤ - سورة الأنعام آية : ٨٢.

٥ - رواه البخاري (٨١/١) ومسلم (١٢٤) وأحمد (٣٥٨٩) والترمذي (٣٠٦٩) وابن جرير (١٣٤٧٦) عن ابن مسعود.

٦ - رواه البخاري (٨١/١) ومسلم (١٢٤) وأحمد (٣٥٨٩) والترمذي (٣٠٦٩) وابن جرير (١٣٤٧٦) عن ابن مسعود.

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [1] اَلْبَقَرَة ١٢٤ .

فَبَيَّنَ أَنَّ عَهْدَهُ بِالْإِمَامَةِ لَا يَتَنَاوَلُ اَلظَّالِمَ, فَلَمْ يَأْمُرْ اَللَّهُ -سُبْحَانَهُ- أَنْ يَكُونَ اَلظَّالِمُ إِمَامًا, وَأَعْظَمُ اَلظُّلْمِ اَلشِّرْكُ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [2] اَلنَّحْلِ ١٢٠ .

وَالْأُمَّةُ هُوَ مُعَلِّمُ اَلْخَيْرِ اَلَّذِي يُؤْتَمُّ بِهِ [3] كَمَا أَنَّ اَلْقُدْوَةُ اَلَّذِي يُقْتَدَى بِهِ .

وَاَللَّهُ -تَعَالَى- جَعَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ اَلنُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ, وَإِنَّمَا بَعَثَ اَلْأَنْبِيَاءُ بَعْدَهُ بِمِلَّتِهِ .

قَالَ تَعَالَى ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [4] اَلنَّحْلِ ١٢٣ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [5] آلِ عِمْرَانَ ٦٧ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [1] آلِ عِمْرَانَ ٦٧ .

---

١ – سورة البقرة آية : ١٢٤.

٢ – سورة النحل آية : ١٢٠.

٣ – انظر "التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار" (ص ٢٣) لابن شيخ الحزّامين، وتعليقي عليه.

٤ – سورة النحل آية : ١٢٣.

٥ – سورة آل عمران آية : ٦٨.

وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ ﴾ [٢] إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [٣] اَلْبَقَرَة ١٣٥-١٣٦ .

وَقَدْ ثَبَتَ فِي "اَلصَّحِيحِ" [٤] عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ خَيْرُ اَلْبَرِيَّةِ فَهُوَ أَفْضَلُ اَلْأَنْبِيَاءِ بَعْدَ اَلنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ خَلِيلُ اَللَّهُ -تَعَالَى- .

وَقَدْ ثَبَتَ فِي "اَلصَّحِيحِ" [٥] عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ أَنَّهُ قَالَ ﴿ إِنَّ اَللَّهَ اِتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اِتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [٦] .

وَقَالَ ﴿ لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ اَلْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا, وَلَكِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اَللَّهِ ﴾ [٧] .

يَعْنِي نَفْسَهُ .

وَقَالَ ﴿ لَا يَبْقَيَنَّ فِي اَلْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا سُدَّتْ إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ ﴾ [٨] .

وَقَالَ ﴿ إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ اَلْقُبُورَ مَسَاجِدَ, أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا اَلْقُبُورَ مَسَاجِدَ; فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ ﴾ [١] .

---

١ – سورة آل عمران آية : ٦٧.

٢ – سورة البقرة آية : ١٣٥-١٣٦.

٣ – سورة البقرة آية : ١٣٦.

٤ – رواه مسلم (٢٣٦٩) وأبو داو (٤٦٧٢) والترمذي (٣٣٥٢) والنسائي في "الكبرى" كما في "تحفة الأشراف" (٤٠٣/١).

٥ – رواه مسلم (٥٣٢) عن جندب. وفي الباب عن عدة من الصحابة، فانظر "جامع الأصول" (٥٨٤/٨-٥٩٠).

٦ – Takreej file not found.

٧ – Takreej file not found.

٨ – Takreej file not found.

١ - undTakreej file not fo.

اَلْخُلَّةُ لَا تَحْتَمِلُ اَلشَّرِكَةَ

وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ﷺ مِنْ أَهْلِ اَلْأَرْضِ خَلِيلٌ, إِذْ اَلْخُلَّةُ لَا تَحْتَمِلُ اَلشَّرِكَةَ, فَإِنَّهُ كَمَا قِيلَ فِي اَلْمَعْنَى .

قَدْ تَخَلَّلْتَ مَسْلَكَ اَلرُّوحِ مِنِّي

وَبِـــذَا سُـــمِّيَ اَلْخَلِيلُ خَلِيلًا

قَدْ قَالَ فِي اَلْحَدِيثِ اَلصَّحِيحِ [1] فِي اَلْحَسَنِ وَأُسَامَةَ ﴿ اَللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا, وَأُحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُمَا ﴾ [2] .

﴿ وَسَأَلَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَيُّ اَلنَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ عَائِشَةُ قَالَ فَمِنْ اَلرِّجَالِ؟ قَالَ أَبُوهَا ﴾ [1] .

---

١ – رواه البخاري (٣٧٣٥) و(٣٧٤٧) وأحمد في "المسند" (٢١٠/٥) وفي "فضائل الصحابة" (رقم: ٨٠) وابن سعد (٦٢/٤) والبغوي في "شرح السنة" (١٤٣/١٤) وأبو القاسم البغوي في "مسند زيد" (رقم: ٨) عن أسامة بن زيد، وليس في الرواية: "وأحب من يحبهما". وهي رواية في الحسن والحسين عند الترمذي في "سننه" (٣٧٦٩) والنسائي في "الخصائص" (١٣٦) وابن حبان (٢٢٣٤) وابن أبي شيبة في "المصنف" (٩٧/١٢) والبخاري في "التاريخ الكبير" (٢ /٢٨٦) والمزي في " تهذيب الكمال" (٥٥/٦) من طريق موسى بن يعقوب الزمعي، عن عبد الله بن أبي بكر بن زيد، عن مسلم بن أبي سهل، عن حسن بن أسامة، عن أبيه. قال ابن المديني في هذا الحديث: حديث الحسن بن أسامة حديث مديني رواه شيخ ضعيف منكر الحديث يقال له: موسى بن يعقوب، من ولد عبد الله بن زمعة، عن رجل مجهول، عن آخر مجهول. نقله ابن عساكر في "تاريخه" (١٥٥/٤تهذيبه). وضعفه الذهبي في "السير" (٢٥٢/٣) ثم قال: "فهذا مما ينتقد تحسينه علي الترمذي". وعزاه أخونا الحوينى في "الحُلي..." (ص ١٢٣) للحاكم! ولم أره في "مستدركه"!! ولقوله: "اللهم! إني أحبهما فأحبهما" شاهد. أخرجه أحمد في "المسند" (٤٤٦/٢) وفي "الفضائل" (١٣٧١) وابن أبي شيبة في "المصنف" (٩٥/١٢) والبزار (٣ / ٢٢٦) من طريقتين عن أبي هريرة، وسنده حسن.

٢ – Takreej file not found.

١ - Takreej file not found.

طَاعَةُ اَلرَّسُولِ وَمُتَابَعَتُهُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِتَحْقِيقِ اَلْعُبُودِيَّةِ

وَطَاعَةُ اَلرَّسُولِ وَمُتَابَعَتُهُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِتَحْقِيقِ اَلْعُبُودِيَّةِ, وَكَثِيرٌ مِمَّنْ يَدَّعِي اَلْمَحَبَّةَ يَخْرُجُ عَنْ شَرِيعَتِهِ وَسُنَّتِهِ ﷺ وَيَدَّعِي مِنْ اَلْحَالَاتِ مَا لَا يَتَّسِعُ هَذَا اَلْمَوْضُوعُ لِذِكْرِهِ [1] حَتَّى قَدْ يَظُنُّ أَحَدُهُمْ سُقُوطَ اَلْأَمْرِ وَتَحْلِيلَ اَلْحَرَامِ لَهُ, وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ مُخَالَفَةُ شَرِيعَةِ اَلرَّسُولِ وَسُنَّتِهِ وَطَاعَتِهِ!! .

بَلْ قَدْ جَعَلَ اَللَّهُ أَسَاسَ مَحَبَّتِهِ وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ اَلْجِهَادَ فِي سَبِيلِهِ, وَالْجِهَادُ يَتَضَمَّنُ كَمَالَ مَحَبَّةِ مَا أَمَرَ اَللَّهُ بِهِ, وَكَمَالَ بُغْضِ مَا نَهَى اَللَّهُ عَنْهُ, وَلِهَذَا قَالَ فِي صِفَةِ مَنْ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [2] اَلْمَائِدَةِ ٥٤ .

وَلِهَذَا كَانَتْ مَحَبَّةُ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ لِلَّهِ أَكْمَلَ مِنْ مَحَبَّةِ مَنْ قَبْلَهَا, وَعُبُودِيَّتُهُمْ لِلَّهِ أَكْمَلَ مِنْ عُبُودِيَّةِ مَنْ قَبْلَهُمْ .

وَأَكْمَلُ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ فِي ذَلِكَ هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَنْ كَانَ بِهِمْ أَشْبَهَ كَانَ ذَلِكَ فِيهِ أَكْمَلَ [3] فَأَيْنَ هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَدَّعُونَ اَلْمَحَبَّةَ؟ .

وَفِي كَلَامِ بَعْضِ اَلشُّيُوخِ "اَلْمَحَبَّةُ نَارٌ تَحْرِقُ فِي اَلْقَلْبِ مَا سِوَى مُرَادِ اَلْمَحْبُوبِ" .

وَأَرَادُوا أَنَّ اَلْكَوْنَ كُلَّهُ قَدْ أَرَادَ اَللَّهُ وُجُودَهُ, فَظَنُّوا أَنَّ كَمَالَ اَلْمَحَبَّةِ أَنْ يُحِبَّ اَلْعَبْدُ كُلَّ شَيْءٍ, حَتَّى اَلْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ!! وَلَا يُمْكِنُ أَحَدًا أَنْ يُحِبَّ كُلَّ مَوْجُودٍ, بَلْ يُحِبُّ مَا يُلَائِمُهُ وَيَنْفَعُهُ, وَيُبْغِضُ مَا يُنَافِيهِ وَيَضُرُّهُ, وَلَكِنْ اِسْتَفَادُوا بِهَذَا اَلضَّلَالِ اِتِّبَاعِ أَهْوَائِهِمْ, ثُمَّ زَادَهُمْ

١ – ككثير من دعاة التصوف وأدعياء الكرامة في كل العصور.

٢ – سورة المائدة آية : ٥٤.

٣ – لذلك نحن ننتسب إليهم، ونقتدي بهم، ونهتدي بهديهم، –رضي الله عنهم–، وألحقنا بهم على خير.

انْغِمَاسًا فِي أَهْوَائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ, فَهُمْ يُحِبُّونَ مَا يَهْوَوْنَهُ, كَالصُّوَرِ, وَالرِّئَاسَةِ, وَفُضُولِ الْمَالِ, وَالْبِدَعِ الْمُضِلَّةِ, زَاعِمِينَ أَنَّ هَذَا مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ! .

وَمِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ بُغْضُ مَا يُبْغِضُهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ, وَجِهَادُ أَهْلِهِ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ .

وَأَصْلُ ضَلَالِهِمْ أَنَّ هَذَا الْقَائِلَ الَّذِي قَالَ "إنَّ الْمَحَبَّةَ نَارٌ تَحْرِقُ مَا سِوَى مُرَادِ الْمَحْبُوبِ", قَصَدَ بِمُرَادِ اللَّهِ -تَعَالَى- الْإِرَادَةَ الْكَوْنِيَّةَ فِي كُلِّ الْمَوْجُودَاتِ .

أَمَّا لَوْ قَالَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ هَذَا الْمَقَالَةَ, فَإِنَّهُ يَقْصِدُ الْإِرَادَةَ الدِّينِيَّةَ الشَّرْعِيَّةَ الَّتِي هِيَ بِمَعْنَى مَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ, فَكَأَنَّهُ قَالَ .

تَحْرِقُ مِنْ الْقَلْبِ مَا سِوَى الْمَحْبُوبِ لِلَّهِ .

ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [1] مُحَمَّدٍ ٢٨ .

وَاَللَّهُ يُبْغِضُ الْكَافِرِينَ وَيَمْقُتُهُمْ وَيَلْعَنُهُمْ, وَهُوَ -سُبْحَانَهُ- يُحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُ, لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ مُحِبًّا لِلَّهِ, وَاَللَّهُ -تَعَالَى- غَيْرُ مُحِبٍّ لَهُ, بَلْ بِقَدْرِ مَحَبَّةِ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ يَكُونُ حُبُّ اللَّهِ

١ - سورة محمد آية : ٢٨.

لَهُ, وَإِنْ كَانَ جَزَاءُ اَللَّه لِعَبْده أَعْظَمَ، كَمَا فِي اَلْحَديث اَلصَّحيح [1] اَلْإِلَهِيِّ عَنْ اَللَّه -تَعَالَى- أَنَّهُ قَالَ ﴿ مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا, وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا, وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً ﴾ [2] .

وَقَدْ أَخْبَرَ اَللَّهُ -سُبْحَانَهُ- أَنَّهُ يُحِبُّ اَلْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ, وَالصَّابِرِينَ, وَيُحِبُّ اَلتَّوَّابِينَ, وَيُحِبُّ اَلْمُتَطَهِّرِينَ [3] بَلْ هُوَ يُحِبُّ مَنْ فَعَلَ مَا أُمِرَ بِهِ مِنْ وَاجِبٍ وَمُسْتَحَبٍّ, كَمَا فِي اَلْحَدِيث]اَلْإِلَهِيِّ[اَلصَّحِيحِ [4] ﴿ لَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ, فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ اَلَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ اَلَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ﴾ [5] اَلْحَدِيثُ .

وَكَثِيرٌ مِنْ اَلْمُخْطِئِينَ اَلَّذِينَ اِبْتَدَعُوا أَشْيَاءَ فِي اَلزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ وَقَعُوا فِي بَعْضِ مَا وَقَعَ فِيهِ اَلنَّصَارَى مِنْ دَعْوَى اَلْمَحَبَّةِ لِلَّهِ مَعَ مُخَالَفَةِ شَرِيعَتِهِ, وَتَرْكِ اَلْمُجَاهَدَةِ فِي سَبِيلِهِ, وَنَحْوِ ذَلِكَ, وَيَتَمَسَّكُونَ فِي اَلدِّينِ اَلَّذِي يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى اَللَّهِ بِنَحْوِ مَا تَمَسَّكَ بِهِ النَّصَارَى مِنْ اَلْكَلَامِ اَلْمُتَشَابِهِ, وَالْحِكَايَاتِ اَلَّتِي لَا يُعْرَفُ صِدْقُ قَائِلِهَا, وَلَوْ صَدَقَ لَمْ يَكُنْ قَائِلُهَا مَعْصُومًا [6] فَيَجْعَلُونَ مَتْبُوعِيهِمْ شَارِعِينَ لَهُمْ دِينًا, كَمَا جَعَلَ

١ – رواه البخاري (٣٢٥/١٣) ومسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة، ورواه البخاري (٤٢٧/١٣) عن أنس ورواه مسلم (٢٦٨٧) عن أبي ذر.

٢ – رواه البخاري (٣٢٥/١٣) ومسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة، ورواه البخاري (٤٢٧/١٣) عن أنس ورواه مسلم (٢٦٨٧) عن أبي ذر.

٣ – تقدم نحو من ذلك (ص٩٥، ٩٦).

٤ – حديث صحيح، له طرق عدة لا تخلو مفرداته من ضعف. وقد فصل القول في هذا الحديث تفصيلا رائعا شيخنا الألباني في "السلسلة الصحيحة" (١٨٣/٤ ــ ١٩٣) فليراجع.

٥ – حديث صحيح، له طرق عدة لا تخلو مفرداته من ضعف. وقد فصل القول في هذا الحديث تفصيلا رائعا شيخنا الألباني في "السلسلة الصحيحة" (١٨٣/٤ ــ ١٩٣) فليراجع.

٦ – كمثل ما تفعله اليوم بعض الجماعات الإسلامية الدعوية وللأسف مع قادتها وأمرائها!!.

أَوْصَافُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ

وإنما اَلدِّينُ اَلْحَقُّ هُوَ تَحْقِيقُ اَلْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ بِكُلِّ وَجْهٍ, وَهُوَ تَحْقِيقُ مَحَبَّةِ اَللَّهِ بِكُلِّ دَرَجَةٍ, وَبِقَدْرِ تَكْمِيلِ اَلْعُبُودِيَّةِ تَكْمُلُ مَحَبَّةُ اَلْعَبْدِ لِرَبِّهِ, وَتُكْمُلُ مَحَبَّةُ اَلرَّبِّ لِعَبْدِهِ, وَبِقَدْرِ نَقْصِ هَذَا يَكُونُ نَقْصُ هَذَا, وَكُلَّمَا كَانَ فِي اَلْقَلْبِ حُبٌّ لِغَيْرِ اَللَّهِ كَانَتْ فِيهِ عُبُودِيَّةٌ لِغَيْرِ اَللَّهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ, وَكُلَّمَا كَانَ فِيهِ عُبُودِيَّةٌ لِغَيْرِ اَللَّهِ كَانَ فِيهِ حُبٌّ لِغَيْرِ اَللَّهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ .

وَكُلُّ مَحَبَّةٍ لَا تَكُونُ لِلَّهِ فَهِيَ بَاطِلَةٌ, وَكُلُّ عَمَلٍ لَا يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اَللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ, فَالدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ, مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ [1] وَلَا يَكُونُ لِلَّهِ إِلَّا مَا أَحَبَّهُ اَللَّهُ وَرَسُولُهُ, وَهُوَ اَلْمَشْرُوعُ .

فَكُلُّ عَمَلٍ أُرِيدَ بِهِ غَيْرُ اَللَّهِ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ, وَكُلُّ عَمَلٍ لَا يُوَافِقُ

فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [2] اَلْكَهْف ١١٠ .

فَلَا بُدَّ مِنْ اَلْعَمَلِ اَلصَّالِحِ, وَهُوَ اَلْوَاجِبُ وَالْمُسْتَحَبُّ, وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِوَجْهِ اَللَّهِ – تَعَالَى–, كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [1] اَلْبَقَرَة ١١٢ .

---

١ – وقد صح هذا المعنى مرفوعا عن النبي –صلى الله عليه وسلم–: رواه الترمذي (٢٣٢٣) وابن ماجه (٤١١٢) وابن الجوزي في "العلل المتناهية" (١٣٣٠) والبغوي (٤٠٢٨) والعقيلي في "الضعفاء" عن أبي هريرة. وسنده حسن، ابن ضمرة روى عن جماعة ووثقه العجلي وابن حبان. ونقل الدكتور بشار عواد في تعليقه على "تهذيب الكمال" (١٣/١٥) عن ابن حجر قوله عنه في "التقريب": "ثقة"!! ولا أصل لذلك! إنما قال: "وثقه العجلي" وفرق بينهما كما لا يخفى! وانظر كتابنا "الرد العلمي" (١٥٦/٢ – ١٥٩) فيه زيادة بيان.

٢ – سورة الكهف آية : ١١٠.

وَقَالَ اَلنَّبِيُّ -صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ﴿ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ ﴾ [٢] .

وَقَالَ اَلنَّبِيُّ -صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ﴿ إنما اَلْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وإنما لِكُلِّ اِمْرِئٍ مَا نَوَى; فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اَللَّهِ وَرَسُولِهِ, فَهِجْرَتُهُ إِلَى اَللَّهِ وَرَسُولِهِ, وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ اِمْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ ﴾ [٣] .

وَهَذَا اَلْأَصْلُ هُوَ أَصْلُ اَلدِّينِ, وَبِحَسَبِ تَحْقِيقِهِ يَكُونُ تَحْقِيقُ

١ - سورة البقرة آية : ١١٢.

٢ - Takreej file not found.

٣ - eej file not foundTakr.

خُطُورَةُ الشِّرْكِ

والشرك غَالِبٌ عَلَى اَلنُّفُوسِ, وَهُوَ كَمَا جَاءَ فِي اَلْحَدِيثِ ﴿ هُوَ فِي هَذِهِ اَلْأُمَّةِ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ اَلنَّمْلِ ﴾ [1] [2] .

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اَللَّهِ, كَيْفَ نَنْجُو مِنْهُ, وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ اَلنَّمْلِ؟ فَقَالَ اَلنَّبِيُّ -صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِأَبِي بَكْرٍ ﴿ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَةً إِذَا قُلْتَهَا نَجَوْتَ مِنْ دِقِّهِ وَجُلِّهِ؟! قُلِ اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ, وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ ﴾ [3] [4] .

وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ "اَللَّهُمَّ اِجْعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحًا, وَاجْعَلْهُ لِوَجْهِكَ خَالِصًا, وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهِ شَيْئًا" .

وَكَثِيرًا مَا يُخَالِطُ اَلنُّفُوسَ مِنْ اَلشَّهَوَاتِ اَلْخَفِيَّةِ مَا يُفْسِدُ عَلَيْهَا تَحْقِيقَ مَحَبَّتِهَا لِلَّهِ وَعُبُودِيَّتِهَا لَهُ, وَإِخْلَاصَ دِينِهَا لَهُ, كَمَا قَالَ شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ يَا نَعَايَا [5] اَلْعَرَبِ! يَا نَعَايَا اَلْعَرَبِ! إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اَلرِّيَاءُ وَالشَّهْوَةُ اَلْخَفِيَّةُ [6] .

---

١ - Takreej file not found.

٢ - تقدم تخرجه (ص٦٣).

٣ - تقدم تخرجه (ص٦٣).

٤ - تقدم تخريجه تحت تخريج السابق.

٥ - تصحّف في عدة نسخ إلى: "يا بقايا..."!.

٦ - وقد صح هذا مرفوعا: رواه البيهقي في "الزهد" (ص٣١٩) وبحشل في "تاريخ واسط" (ص٢٢٠) وابن عدي في "الكامل" (١٥٢٩/٤) وأبو نعيم في "الحلية" (١٢٢/٧) وفي "أخبار أصبهان" (٦٦/٢) من طريق عبد الله بن بديل، عن الزهري، عن عباد بن تميم عن عمه مرفوعا. وفي ابن بديل كلام يسير. لكنه توبع: فأخرجه الشجري في "الأمالي" (٢٢٠/٢) من طريق عبيد الله بن عمر، عن الزهري، به. فالسند صحيح -إن شاء الله-. وقوله: "يا نعايا": ذكر الزمخشري في "الفائق" (١٠٩/٣) له ثلاثة أوجه، ثم قال: "والمعنى: يا نعايا العرب جئن فهذا وقتكن وزمانكن، يريد أن العرب قد هلكت". وانظر "غريب الحديث" (١٦٩/٤-١٧٠) للهروي. وقد تصحفت في "تاريخ واسط" إلى: "بغايا"! وهو تحريف شنيع!!!.

وَقِيلَ لِأَبِي دَاوُدَ اَلسِّجِسْتَانِيِّ [1] وَمَا اَلشَّهْوَةُ اَلْخَفِيَّةُ؟ قَالَ حُبُّ اَلرِّئَاسَةِ .

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ اَلنَّبِيِّ -صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ ﴿ مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي زَرِيبَةِ غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ اَلْمَرْءِ عَلَى اَلْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ ﴾ [2] [3] .

قَالَ اَلتِّرْمِذِيُّ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ [4] .

فَبَيَّنَ -صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ اَلْحِرْصَ عَلَى اَلْمَالِ وَالشَّرَفِ, فِي إفْسَادِ اَلدِّينِ, لَا يَنْقُصُ عَنْ إفْسَادِ اَلذِّئْبَيْنِ اَلْجَائِعَيْنِ لِزَرِيبَةِ اَلْغَنَمِ .

وَذَلِكَ بَيِّنٌ; فَإِنَّ اَلدِّينَ اَلسَّلِيمَ لَا يَكُونُ فِيهِ هَذَا اَلْحِرْصُ, وَذَلِكَ أَنَّ اَلْقَلْبَ إذَا ذَاقَ حَلَاوَةَ عُبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ وَمَحَبَّتَهُ لَهُ, لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى يُقَدِّمَهُ عَلَيْهِ, وَبِذَلِكَ يَصْرِفُ عَنْ أَهْلِ اَلْإِخْلَاصِ لِنَصْرِفَ عَنْهُ اَلسُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا اَلْمُخْلَصِينَ ﴾ [5] يُوسُف ٢٤ .

فَإِنَّ اَلْمُخْلِصَ لِلَّهِ ذَاقَ مِنْ حَلَاوَةِ عُبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ مَا يَمْنَعُهُ عَنْ عُبُودِيَّتِهِ لِغَيْرِهِ, وَمِنْ حَلَاوَةِ مَحَبَّتِهِ لِلَّهِ مَا يَمْنَعُهُ عَنْ مَحَبَّةِ غَيْرِهِ, إذْ لَيْسَ عِنْدَ اَلْقَلْبِ اَلسَّلِيمِ لَا أَحْلَى وَلَا أَلَذَّ وَلَا أَطْيَبَ وَلَا أَسَرَّ وَلَا أَلْيَنَ, وَلَا أَنْعَمَ مِنْ حَلَاوَةِ اَلْإِيمَانِ اَلْمُتَضَمِّنِ عُبُودِيَّتَهُ لِلَّهِ وَمَحَبَّتَهُ لَهُ وَإِخْلَاصَهُ اَلدِّينَ لَهُ .

وَذَلِكَ يَقْتَضِي انْجِذَابَ اَلْقَلْبِ إلَى اَللَّهِ, فَيَصِيرُ اَلْقَلْبُ مُنِيبًا إلَى اَللَّهِ, خَائِفًا مِنْهُ, رَاغِبًا رَاهِبًا, كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ مَنْ خَشِيَ اَلرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾ [6] ق: ٣٣ .

---

١ – وهو الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث، صاحب "السنن" توفي سنة (٢٧٥هـ) -رحمه الله- ، ترجمته في "السير" (٢٠٣/١٣).

٢ – وهو الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث، صاحب "السنن" توفي سنة (٢٧٥هـ) -رحمه الله- ، ترجمته في "السير" (٢٠٣/١٣).

٣ – رواه أحمد (٤٥٦/٣ و ٤٦٠) والترمذي (٢٤٨٢) والنسائي في "الكبرى" كما في "تحفة الأشراف" (٣١٦/٨) وابن حبان في "صحيحه" (٢٤٧٢) وابن المبارك في "الزهد" (١٨١-زيادات نعيم) والدارمي (٢٧٣٣) والطبراني في "الكبير" (١٨٩/٨٨/١٩).

٤ – وهو كما قال.

٥ – سورة يوسف آية : ٢٤.

٦ – سورة ق آية : ٣٣.

إِذْ اَلْمُحِبُّ يَخَافُ مِنْ زَوَالِ مَطْلُوبِهِ, أَوْ عَدَمِ حُصُولِ مَرْغُوبِهِ, فَلَا يَكُونُ عَبْدُ اَللَّهِ وَمُحِبُّهُ, إِلَّا بَيْنَ خَوْفٍ وَرَجَاءٍ, كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ أُولَئِكَ اَلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ اَلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [1] اَلْإِسْرَاء :٥٧ .

وَإِذَا كَانَ اَلْعَبْدُ مُخْلِصًا لِلَّهِ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ, فَأَحْيَا قَلْبَهُ وَاجْتَذَبَهُ إِلَيْهِ, فَيَنْصَرِفُ عَنْهُ مَا يُضَادُّ ذَلِكَ مِنْ اَلسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ, وَيَخَافُ مِنْ حُصُولِ ضِدِّ ذَلِكَ, بِخِلَافِ اَلْقَلْبِ اَلَّذِي لَمْ يُخْلِصْ لِلَّهِ, فَإِنَّ فِيهِ طَلَبًا وَإِرَادَةً وَحُبًّا مُطْلَقًا, فَيَهْوَى مَا يَسْنَحُ لَهُ, وَيَتَشَبَّثُ بِمَا يَهْوَاهُ, كَالْغُصْنِ, أَيُّ نَسِيمٍ مَرَّ بِهِ عَطَفَهُ وَأَمَالَهُ, فَتَارَةً تَجْتَذِبُهُ اَلصُّوَرُ اَلْمُحَرَّمَةُ وَغَيْرُ اَلْمُحَرَّمَةِ, فَيَبْقَى أَسِيرًا عَبْدًا لِمَنْ لَوْ اتَّخَذَهُ هُوَ عَبْدًا لَهُ لَكَانَ ذَلِكَ عَيْبًا وَنَقْصًا وَذَمًّا .

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اَللَّهِ اَلَّتِي فَطَرَ اَلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اَللَّهِ ذَلِكَ اَلدِّينُ اَلْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ اَلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا اَلصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ مِنَ اَلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [2] الروم ٣٠ – ٣٢ .

وَقَدْ جَعَلَ اَللَّهُ –سُبْحَانَهُ– إِبْرَاهِيمَ وَآلَ إِبْرَاهِيمَ أَئِمَّةً لِهَؤُلَاءِ اَلْحُنَفَاءِ اَلْمُخْلِصِينَ أَهْلِ مَحَبَّةِ اَللَّهِ وَعِبَادَتِهِ وَإِخْلَاصِ اَلدِّينِ لَهُ, كَمَا جَعَلَ فِرْعَوْنَ وَآلَ فِرْعَوْنَ أَئِمَّةَ اَلْمُشْرِكِينَ اَلْمُتَّبِعِينَ أَهْوَاءَهُمْ .

١ – سورة الإسراء آية : ٥٧.

٢ – سورة الروم آية : ٣٠-٣٢.

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [1] الرُّوم ٣٠-٣٢ .

وَقَالَ فِي فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ [2] الْقَصَص ٤١-٤٢ .

وَلِهَذَا يَصِيرُ أَتْبَاعُ فِرْعَوْنَ أَوَّلاً إِلَى أَنْ لَا يُمَيِّزُوا بَيْنَ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ, وَبَيْنَ مَا قَدَّرَ اللَّهُ وَقَضَاهُ, بَلْ يَنْظُرُونَ إِلَى الْمَشِيئَةِ الْمُطْلَقَةِ الشَّامِلَةِ, ثُمَّ فِي آخِرِ الْأَمْرِ لَا يُمَيِّزُونَ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ, بَلْ يَجْعَلُونَ وُجُودَ هَذَا وُجُودَ هَذَا!! .

وَيَقُولُ مُحَقِّقُوهُم : [3] الشَّرِيعَةُ فِيهَا طَاعَةٌ وَمَعْصِيَةٌ, وَالْحَقِيقَةُ فِيهَا طَاعَةٌ بِلَا, مَعْصِيَةٍ وَالتَّحْقِيقُ لَيْسَ فِيهِ طَاعَةٌ وَلَا مَعْصِيَةٌ!! .

وَهَذَا تَحْقِيقُ مَذْهَبِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا تَكْلِيمَهُ لِعَبْدِهِ مُوسَى, وَمَا أَرْسَلَهُ بِهِ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ .

---

١ – سورة الأنبياء آية : ٧٢-٧٣.

٢ – سورة القصص آية : ٤١-٤٢.

٣ – هم محققو انحرافاتهم وضلالاتهم!! واليوم رأينا من انتكس على أمِّ رأسه، لاهثا وراء خزعبيلات المتصوفة وترهات أهل (الكشف)، وضلالات (علم الحقيقة) وقد كان قبلُ على الجادة، وما ذاك إلا بسبب صحبة أهل البدع والخرافيين! نعوذ بالله من الحور بعد الكور.

فِي الْفَرْقِ بَيْنَ اَلْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ

وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ وَآلُ إِبْرَاهِيمَ اَلْحُنَفَاء مِنْ اَلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ, فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ اَلْفَرْقِ بَيْنَ اَلْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ وَلَا بُدَّ مِنْ اَلْفَرْقِ بَيْنَ اَلطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ, وَأَنَّ اَلْعَبْدَ كُلَّمَا ازْدَادَ تَحْقِيقًا لِهَذَا اَلْفَرْقِ, ازْدَادَتْ مَحَبَّتُهُ لِلَّهِ وَعُبُودِيَّتُهُ لَهُ, وَطَاعَتُهُ لَهُ, وَإِعْرَاضُهُ عَنْ عِبَادَةِ غَيْرِهِ وَمَحَبَّةِ غَيْرِهِ, وَطَاعَةِ غَيْرِهِ .

وَهَؤُلَاءِ اَلْمُشْرِكُونَ اَلضَّالُّونَ يُسَوُّونَ بَيْنَ اَللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ, وَالْخَلِيلُ يَقُولُ [1] ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ اَلْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ اَلْعَالَمِينَ ﴾ [2] وَيَتَمَسَّكُونَ بِالْمُتَشَابِهِ مِنْ كَلَامِ اَلْمَشَايِخِ كَمَا فَعَلَتِ اَلنَّصَارَى .

مِثَالُ ذَلِكَ اسْمُ "اَلْفَنَاءِ", فَإِنَّ اَلْفَنَاءَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ .

نَوْعٌ لِلْكَامِلِينَ مِنْ اَلْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ .

وَنَوْعٌ لِلْقَاصِدِينَ مِنْ اَلْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

وَنَوْعٌ لِلْمُنَافِقِينَ اَلْمُلْحِدِينَ اَلْمُشَبِّهِينَ .

فَأَمَّا اَلْأَوَّلُ فَهُوَ اَلْفَنَاءُ عَنْ إِرَادَةِ مَا سِوَى اَللَّهِ .

بِحَيْثُ لَا يُحِبُّ إِلَّا اَللَّهَ, وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ, وَلَا يَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْهِ, وَلَا يَطْلُبُ مِنْ غَيْرِهِ; وَهُوَ اَلْمَعْنَى اَلَّذِي يَجِبُ أَنْ يُقْصَدَ بِقَوْلِ اَلشَّيْخِ أَبِي يَزِيدَ [1] حَيْثُ قَالَ "أُرِيدُ أَنْ لَا أُرِيدَ إِلَّا مَا يُرِيدُ", أَيْ اَلْمَرَادُ اَلْمَحْبُوبُ اَلْمَرْضِيُّ, وَهُوَ اَلْمَرَادُ بِالْإِرَادَةِ اَلدِّينِيَّةِ .

---

١ – كما في سورة الشعراء: آية ٧٥–٧٧، حكاية عنه.

٢ – سورة الشعراء آية : ٧٥–٧٧.

وَكَمَالُ الْعَبْدِ أَلَّا يُرِيدَ وَلَا يُحِبَّ وَلَا يَرْضَى إِلَّا مَا أَرَادَهُ اللَّهُ وَرَضِيَهُ وَأَحَبَّهُ, وَهُوَ مَا أَمَرَ بِهِ أَمْرَ إِيجَابٍ أَوْ اسْتِحْبَابٍ, وَلَا يُحِبَّ إِلَّا مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ, كَالْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ, وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِمْ فِي قَوْلِهِ ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [٢] الشُّعَرَاء ٨٩ ، قَالُوا هُوَ السَّلِيمُ مِمَّا سِوَى اللَّهِ, أَوْ مِمَّا سِوَى إِرَادَةِ اللَّهِ, أَوْ مِمَّا سِوَى مَحَبَّةِ اللَّهِ, فَالْمَعْنَى وَاحِدٌ .

وَهَذَا الْمَعْنَى -إِنْ سُمِّيَ فَنَاءً, أَوْ لَمْ يُسَمَّ- [٣] هُوَ أَوَّلُ الْإِسْلَامِ وَآخِرُهُ, وَبَاطِنُ الدِّينِ وَظَاهِرُهُ .

١ – هو البسطامي، المتوفى سنة (٢٦١هـ) ترجمه الذهبي في عدة من كتبه منها "ميزان الاعتدال" (٣٤٦/٢) ثم قال: "وأبو يزيد من أهل الفرق: فَمُسَلَّمٌ حاله له، والله يتولى السرائر، ونتبرأ إلى الله من كل من تعمد مخالفة الكتاب والسنة". وفي هامش مخطوطة "الميزان" تعليق: "وأخطأ الذهبي في قوله: "يسلم له حاله". ما يسلم حاله وحال غيره إلا إلى كتاب الله وسنة نبيه".

٢ – سورة الشعراء آية : ٨٩.

٣ – فالعبرة بالمسميات والحقائق، لا بالأسماء والمظاهر، ولكن يجتنب من الأسماء ما فيه شوب مخالفة أو شبهة.

الفناء عن شهود السوى

وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي فَهُوَ اَلْفَنَاءُ عَنْ شُهُودِ اَلسِّوَى .

وَهَذَا يَحْصُلُ لَكَثِيرٍ مِنْ اَلسَّالِكِينَ, فَإِنَّهُمْ لِفَرْطِ انْجِذَابِ قُلُوبِهِمْ إِلَى ذِكْرِ اَللَّهِ وَعِبَادَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ, وَضَعْفِ قُلُوبِهِمْ عَنْ أَنْ تَشْهَدَ غَيْرَ مَا ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [1] اَلْقَصَص ١٠ ، قَالُوا فَارِغًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ ذِكْرِ مُوسَى .

وَهَذَا كَثِيرًا مَا يَعْرِضُ لِمَنْ دَهَمَهُ أَمْرٌ مِنْ اَلْأُمُورِ, إِمَّا حَبٌّ, وَإِمَّا خَوْفٌ, وَإِمَّا رَجَاءٌ; يَبْقَى قَلْبُهُ مُنْصَرِفًا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا عَمَّا قَدْ أَحَبَّهُ أَوْ خَافَهُ أَوْ طَلَبَهُ; بِحَيْثُ يَكُونُ عِنْدَ اِسْتِغْرَاقِهِ فِي ذَلِكَ لَا يَشْعُرُ بِغَيْرِهِ .

فَإِذَا قَوِيَ عَلَى صَاحِبِ اَلْفَنَاءِ هذَا, فَإِنَّهُ يَغِيبُ بِمَوْجُودِهِ عَنْ وُجُودِهِ, وَبِمَشْهُودِهِ عَنْ شُهُودِهِ, وَبِمَذْكُورِهِ عَنْ ذِكْرِهِ, وَبِمَعْرُوفِهِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ, حَتَّى يَفْنَى مَنْ لَمْ يَكُنْ -وَهِيَ اَلْمَخْلُوقَاتُ اَلْعَبْدُ فَمَنْ سِوَاهُ- وَيَبْقَى مَنْ لَمْ يَزَلْ -وَهُوَ اَلرَّبُّ تَعَالَى- وَالْمُرَادُ فَنَاؤُهَا فِي شُهُودِ اَلْعَبْدِ وَذِكْرِهِ, وَفَنَاؤُهُ عَنْ أَنْ يُدْرِكَهَا أَوْ يَشْهَدَهَا .

وَإِذَا قَوِيَ هَذَا, ضَعُفَ اَلْمُحِبُّ حَتَّى يَضْطَرِبَ فِي تَمْيِيزِهِ, فَقَدْ يَظُنُّ أَنَّهُ هُوَ مَحْبُوبُهُا كَمَا يُذْكَرُ أَنَّ رَجُلاً أَلْقَى نَفْسَهُ فِي اَلْيَمِّ, فَأَلْقَى مُحِبُّهُ نَفْسَهُ خَلْفَهُ, فَقَالَ أَنَا وَقَعْتُ, فَمَا أَوْقَعَكَ خَلْفِي? قَالَ غِبْتُ بِكَ عَنِّي, فَظَنَنْتُ أَنَّكَ أَنِّي!! .

وَهَذَا اَلْمَوْضِعُ زَلَّتْ فِيهِ أَقْوَامٌ, وَظَنُّوا أَنَّهُ اِتِّحَادٌ, وَأَنَّ اَلْمُحِبَّ يَتَّحِدُ بِالْمَحْبُوبِ, حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ فِي نَفْسِ وُجُودِهِمَا! .

---

١ - سورة القصص آية : ١٠.

وَهَذَا غَلَطٌ, فَإِنَّ اَلْخَالِقَ لَا يَتَّحِدُ بِهِ شَيْءٌ أَصْلاً, بَلْ لَا يُمْكِنُ أَنْ

وَأَكَابِرُ اَلْأَوْلِيَاءِ كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ, وَالسَّابِقِينَ اَلْأَوَّلِينَ مِنْ اَلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ, لَمْ يَقَعُوا فِي هَذَا اَلْفَنَاءِ, فَضْلاً عَمَّنْ هُوَ فَوْقَهُمْ مِنْ اَلْأَنْبِيَاءِ, وَإِنَّمَا وَقَعَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا بَعْدَ اَلصَّحَابَةِ [1] .

وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا كَانَ مِنْ هَذَا اَلنَّمَطِ مِمَّا فِيهِ غَيْبَةُ اَلْعَقْلِ وَعَدَمُ اَلتَّمْيِيزِ لِمَا يَرِدُ عَلَى اَلْقَلْبِ مِنْ أَحْوَالِ الْإِيمَانِ .

فَإِنَّ اَلصَّحَابَةَ -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمْ- كَانُوا أَكْمَلَ وَأَقْوَى وَأَثْبَتَ فِي الْأَحْوَالِ الْإِيمَانِيَّةِ مِنْ أَنْ تَغِيبَ عُقُولُهُمْ, أَوْ يَحْصُلَ لَهُمْ غَشْيٌ أَوْ ضَعْفٌ أَوْ سُكْرٌ, أَوْ فَنَاءٌ, أَوْ وَلَهٌ, أَوْ جُنُونٌ .

وَإِنَّمَا كَانَ مَبَادِئُ هَذَه الْأُمُورِ فِي التَّابِعِينَ مِنْ عُبَّادِ الْبَصْرَةِ, فَإِنَّهُ كَانَ فِيهِمْ مَنْ يُغْشَى عَلَيْهِ إِذَا سَمِعَ اَلْقُرْآنَ, وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُوتُ, كَأَبِي جُهَيْرٍ اَلضَّرِيرِ [2] وَزُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى [3] قَاضِي اَلْبَصْرَةِ .

وَكَذَلِكَ صَارَ فِي شُيُوخِ اَلصُّوفِيَّةِ مَنْ يَعْرِضُ لَهُ مِنْ اَلْفَنَاءِ وَالسُّكْرِ مَا يَضْعُفُ مَعَهُ تَمْيِيزُهُ, حَتَّى يَقُولَ فِي تِلْكَ اَلْحَالِ مِنْ اَلْأَقْوَالِ مَا إِذَا صَحَا عَرَفَ أَنَّهُ غَالِطٌ فِيهِ, كَمَا يُحْكَى نَحْوَ ذَلِكَ عَنْ مِثْلِ أَبِي يَزِيدَ, وَأَبِي اَلْحُسَيْنِ اَلنُّورِي [4] وَأَبِي بَكْرٍ اَلشِّبْلِيِّ, وَأَمْثَالِهِمْ, بِخِلَافِ أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ, وَمَعْرُوفٍ اَلْكَرْخِيِّ, وَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ, بَلْ وَبِخِلَافِ اَلْجُنَيْدِ وَأَمْثَالِهِ, مِمَّنْ كَانَ عُقُولُهُمْ وَتَمْيِيزُهُمْ يَصْحَبُهُمْ فِي أَحْوَالِهِمْ, فَلَا يَقَعُونَ فِي مِثْلِ هَذَا اَلْفَنَاءِ وَالسُّكْرِ وَنَحْوِهِ .

---

١ – فهو مردود عليهم ولا كرامة!.

٢ – لم أقف على ترجمته، فلعل فيه تحريفا.

٣ – ترجمته في "حلية الأولياء" (٢/٢٥٨)، والخبر فيه. وانظر "المنتقى النفيس .." (ص٣٢٩-٣٣٥) بقلمي.

٤ – هو أحمد بن محمد، توفي سنة (٢٩٥هـ)، ترجمته في "السير" (١٤/٧٠).

بَلْ الكُمَّلُ تَكُونُ قُلُوبُهُمْ لَيْسَ فِيهَا سِوَى مَحَبَّةِ اَللَّهِ وَإِرَادَتِهِ وَعِبَادَتِهِ; وَعِنْدَهُمْ مِنْ سَعَةِ اَلْعِلْمِ وَالتَّمْيِيزِ مَا يَشْهَدُونَ]بِهِ] اَلْأُمُورَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ, بَلْ يَشْهَدُونَ اَلْمَخْلُوقَاتِ قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ, مُدَبَّرَةً بِمَشِيئَتِهِ, بَلْ مُسْتَجِيبَةً لَهُ, قَانِتَةً لَهُ, فَيَكُونُ لَهُمْ فِيهَا تَبْصِرَةً وَذِكْرَى, وَيَكُونُ مَا يَشْهَدُونَهُ مِنْ ذَلِكَ مُؤَيِّدًا وَمُمِدًّا لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ إِخْلَاصِ اَلدِّينِ, وَتَجْرِيدِ اَلتَّوْحِيدِ لَهُ, وَالْعِبَادَةِ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ .

وَهَذِهِ هِيَ اَلْحَقِيقَةُ اَلَّتِي دَعَا إِلَيْهَا اَلْقُرْآنُ, وَقَامَ بِهَا أَهْلُ تَحْقِيقِ اَلْإِيمَانِ وَالْكُمَّلُ مِنْ أَهْلِ اَلْعِرْفَانِ, وَنَبِيُّنَا ﷺ إِمَامُ هَؤُلَاءِ وَأَكْمَلُهُمْ, وَلِهَذَا لَمَّا عُرِجَ بِهِ إِلَى اَلسَّمَاوَاتِ وَعَايَنَ مَا هُنَالِكَ مِنْ اَلْآيَاتِ, وَأُوحِيَ إِلَيْهِ مَا أُوحِيَ مِنْ أَنْوَاعِ اَلْمُنَاجَاةِ, أَصْبَحَ فِيهِمْ وَهُوَ لَمْ يَتَغَيَّرْ حَالُهُ, وَلَا ظَهَرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ, بِخِلَافِ مَا كَانَ يَظْهَرُ عَلَى مُوسَى مِنْ اَلتَّغَشِّي [1] -صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ أَجْمَعِينَ- .

١ - وفي ذلك نظر.

فَنَاءُ أَهْلِ اَلْحُلُولِ وَالِانْتِقَالِ

وَأَمَّا اَلنَّوْعُ اَلثَّالِثُ مِمَّا قَدْ يُسَمَّى فَنَاءً .

فَهُوَ أَنْ يَشْهَدَ أَنْ لَا مَوْجُودَ إِلَّا اَللَّهُ, وَأَنَّ وُجُودَ اَلْخَالِقِ هُوَ وُجُودُ اَلْمَخْلُوقِ, فَلَا فَرْقَ بَيْنَ اَلرَّبِّ وَالْعَبْدِ! فَهَذَا فَنَاءُ أَهْلِ اَلضَّلَالِ وَالْإِلْحَادِ, اَلْوَاقِعِينَ فِي اَلْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ, وَهَذَا يَبْرَأُ مِنْهُ اَلْمَشَايِخُ اَلْمُسْتَقِيمُونَ, فَإِذَا قَالَ أَحَدُهُمْ مَا أَرَى غَيْرَ اَللَّهِ, أَوْ لَا أَنْظُرُ إِلَى غَيْرِ اَللَّهِ, وَنَحْوَ ذَلِكَ, فَمُرَادُهُمْ بِذَلِكَ مَا أَرَى رَبًّا غَيْرَهُ, وَلَا خَالِقًا, وَلَا مُدَبِّرًا غَيْرَهُ, وَلَا إِلَهًا غَيْرَهُ, وَلَا أَنْظُرُ إِلَى غَيْرِهِ مَحَبَّةً لَهُ أَوْ خَوْفًا مِنْهُ أَوْ رَجَاءً لَهُ, فَإِنَّ اَلْعَيْنَ تَنْظُرُ إِلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ اَلْقَلْبُ .

فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَوْ رَجَاهُ أَوْ خَافَهُ اِلْتَفَتَ إِلَيْهِ, وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي اَلْقَلْبِ مَحَبَّةٌ لَهُ وَلَا رَجَاءٌ لَهُ, وَلَا خَوْفٌ مِنْهُ, وَلَا بُغْضٌ لَهُ, وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ تَعَلُّقِ اَلْقَلْبِ بِهِ, لَمْ يَقْصِدِ اَلْقَلْبُ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَيْهِ, وَلَا أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ, وَلَا أَنْ يَرَاهُ, وَإِنْ رَآهُ اِتِّفَاقًا رُؤْيَةً مُجَرَّدَةً, كَانَ كَمَا لَوْ رَأَى حَائِطًا وَنَحْوَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ تَعَلُّقٌ بِهِ .

وَالْمَشَايِخُ اَلصَّالِحُونَ -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمْ- يَذْكُرُونَ شَيْئًا مِنْ تَجْرِيدِ اَلتَّوْحِيدِ وَتَحْقِيقِ إِخْلَاصِ اَلدِّينِ كُلِّهِ, بِحَيْثُ لَا يَكُونُ اَلْعَبْدُ مُلْتَفِتًا إِلَى غَيْرِ اَللَّهِ, وَلَا نَاظِرًا إِلَى مَا سِوَاهُ, لَا حُبًّا لَهُ وَلَا خَوْفًا مِنْهُ, وَلَا رَجَاءً لَهُ, بَلْ يَكُونُ اَلْقَلْبُ فَارِغًا مِنَ اَلْمَخْلُوقَاتِ, خَالِيًا مِنْهَا, لَا يَنْظُرُ

فَهَذَا اَلنَّوْعُ اَلثَّالِثُ -اَلَّذِي هُوَ اَلْفَنَاءُ فِي اَلْوُجُودِ- هُوَ تَحْقِيقُ آلِ فِرْعَوْنَ وَمَعْرِفَتُهُمْ وَتَوْحِيدُهُمْ; كَالْقَرَامِطَةِ [1] وَأَمْثَالِهِمْ .

١ – هم فرقة من الباطنية، تنسب إلى حمدان بن الأشعث الذي كان يلقب بـــ(قرمط)، "وقد كانوا يسلكون طريق التأويل في الخبر والأمر جميعا لمعارضة العقل عندهم، وهؤلاء من أعظم الناس كفرا وإلحادا". كما قال المصنف في "درء تعارض العقل والنقل" (١٧٦/١). وانظر "الفرق بين الفرق" (٢٨١-٢٩١)، و"مقالات الإسلاميين" (٩٨/١)، و"المنتظم" (١١٠/٥-١١٩).

وَأَمَّا اَلنَّوْعُ اَلَّذِي عَلَيْهِ أَتْبَاعُ اَلْأَنْبِيَاءِ فَهُوَ اَلْفَنَاءُ اَلْمَحْمُودُ, اَلَّذِي يَكُونُ صَاحِبُهُ بِهِ مِمَّنْ أَثْنَى اَللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَوْلِيَائِهِ اَلْمُتَّقِينَ, وَحِزْبِهِ اَلْمُفْلِحِينَ, وَجُنْدِهِ اَلْغَالِبِينَ .

وَلَيْسَ مُرَادُ اَلْمَشَايِخِ وَالصَّالِحِينَ بِهَذَا اَلْقَوْلِ أَنَّ اَلَّذِي أَرَاهُ بِعَيْنِي مِنَ اَلْمَخْلُوقَاتِ هُوَ رَبُّ اَلْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ! فَإِنَّ هَذَا لَا يَقُولُهُ إِلَّا مَنْ هُوَ فِي غَايَةِ اَلضَّلَالِ وَالْفَسَادِ; إِمَّا فَسَادُ اَلْعَقْلِ, وَإِمَّا فَسَادُ اَلِاعْتِقَادِ, فَهُوَ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ اَلْجُنُونِ وَالْإِلْحَادِ .

وَهُمْ قَدْ يَتَكَلَّمُونَ فِي اَلْفَرْقِ وَالْجَمْعِ [1] وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مِنَ اَلْعِبَارَاتِ اَلْمُخْتَلِفَةِ نَظِيرُ مَا دَخَلَ فِي اَلْفَنَاءِ .

فَإِنَّ اَلْعَبْدَ إِذَا شَهِدَ اَلتَّفْرِقَةَ وَالْكَثْرَةَ فِي اَلْمَخْلُوقَاتِ, يَبْقَى قَلْبُهُ مُتَعَلِّقًا بِهَا مُشَتَّتًا نَاظِرًا إِلَيْهَا, مُتَعَلِّقًا بِهَا; إِمَّا مَحَبَّةً, وَإِمَّا خَوْفًا, وَإِمَّا رَجَاءً, فَإِذَا اِنْتَقَلَ إِلَى اَلْجَمْعِ اِجْتَمَعَ قَلْبُهُ عَلَى تَوْحِيدِ اَللَّهِ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ, فَالْتَفَتَ قَلْبُهُ إِلَى اَللَّهِ بَعْدَ اِلْتِفَاتِهِ إِلَى اَلْمَخْلُوقِينَ, فَصَارَتْ مَحَبَّتُهُ لِرَبِّهِ, وَخَوْفُهُ مِنْ رَبِّهِ, وَرَجَاؤُهُ لِرَبِّهِ, وَاسْتِعَانَتُهُ بِرَبِّهِ, وَهُوَ فِي هَذَا اَلْحَالِ قَدْ لَا يَسَعُ قَلْبَهُ اَلنَّظَرُ إِلَى اَلْمَخْلُوقِ, لِيُفَرِّقَ بَيْنَ اَلْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ, فَقَدْ يَكُونُ مُجْتَمِعًا عَلَى اَلْحَقِّ, مُعْرِضًا عَنْ اَلْخَلْقِ, نَظَرًا وَقَصْدًا, وَهُوَ نَظِيرُ اَلنَّوْعِ اَلثَّانِي مِنْ اَلْفَنَاءِ .

وَلَكِنْ بَعْدَ ذَلِكَ اَلْفَرْقُ اَلثَّانِي, وَهُوَ أَنْ يَشْهَدَ أَنَّ اَلْمَخْلُوقَاتِ قَائِمَةٌ

١ – قالوا: "الفرق: ما نسب إليك، والجمع: ما سلب عنك"!! "التعريفات" (ص٨٠) للجرجاني.

اَلْإِقْرَارُ بِأُلُوهِيَّةِ اَللَّهِ يَتَضَمَّنُ اَلْإِقْرَارَ بِرُبُوبِيَّتِهِ

وَإِقْرَارُهُ بِأُلُوهِيَّةِ اَللَّهِ -تَعَالَى- دُونَ مَا سِوَاهُ, يَتَضَمَّنُ إِقْرَارَهُ بِرُبُوبِيَّتِهِ; وَهُوَ أَنَّهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ, وَخَالِقُهُ وَمُدَبِّرُهُ, فَحِينَئِذٍ يَكُونُ مُوَحِّدًا لِلَّهِ .

وَيُبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّ أَفْضَلَ اَلذِّكْرِ "لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ" كَمَا رَوَاهُ اَلتِّرْمِذِيُّ, وَابْنُ أَبِي اَلدُّنْيَا, وَغَيْرُهُمَا مَرْفُوعًا إِلَى اَلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ ﴿ أَفْضَلُ اَلذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ, وَأَفْضَلُ اَلدُّعَاءِ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ [1] .

وَفِي "اَلْمَوْطَأِ" وَغَيْرِهِ [2] عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اَللَّهِ بْنِ كُرَيزٍ أَنَّ اَلنَّبِيَّ ﷺ قَالَ ﴿ أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ ﴾ .

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ هَذَا ذِكْرُ اَلْعَامَّةِ, وَأَنَّ ذِكْرَ اَلْخَاصَّةِ هُوَ اَلِاسْمُ اَلْمُفْرِدُ! وَذِكْرَ خَاصَّةِ اَلْخَاصَّةِ هُوَ اَلِاسْمُ اَلْمُضْمَرُ!! فَهُمْ ضَالُّونَ غَالِطُونَ

وَاحْتِجَاجُ بَعْضِهِمْ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [3] اَلْأَنْعَام ٩٢.

مِنْ أَبْيَنِ غَلَطِ هَؤُلَاءِ; فَإِنَّ اَلِاسْمَ (اَللَّه) مَذْكُورٌ فِي اَلْأَمْرِ بِجَوَابِ اَلِاسْتِفْهَامِ فِي اَلْآيَةِ قَبْلَهُ, وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ

---

١ – رواه الترمذي (٣٣٨٣) وابن أبي الدنيا في "الشكر" (رقم: ١٠٣) والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (٨٣١) وابن ماجه (٣٨٠٠) والبيهقي في "الدعوات" (١١٧) والحاكم (٤٩٨/١) والبغوي (١٢٦٩) وابن حبان (٨٤٦) وابن عبد البر في "التمهيد" (٦ /٤ ٣) من طريق حبان والخرائطي والبغوي! وانظر "تتائج الأفكار" (٥٩/١) للحافظ ابن حجر.

٢ – رواه مالك (٢٤٦/٤٢٢/١) والبيهقي (٢٨٤/٤) و(١١٧/٥) مرسلا. ووصله الطبراني في "مناسكه" قال: "حدثنا الحسن بن مثنى بن معاذ العنبري: حدثنا عفان بن مسلم: حدثنا قيس بن الربيع، عن الأغر بن الصباح، عن خليفة، عن علي، عن النبي –صلى الله عليه وسلم– ...". فذكره. . . كذا في "البداية والنهاية" (١٧٥/٥). وهو في "صحيح ابن خزيمة" (٢٨٤١) من طريق، به، –وفيه تطبيعات–. قلت: وهو حسن في الشواهد، لما قيل في حال قيس بن الربيع من سوء الحفظ. وله شاهد: رواه أحمد (٦٩٦١) والترمذي (٣٥٨٥) وأبو نعيم (١٠٤/٧) من طريق محمد بن أبي حميد، عن عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده. ومحمد بن أبي حميد ضعيف. فالحديث حسن –إن شاء الله–. وله طرق أخرى، فانظر: "الفتوحات الربانية" (٧٤٨/٤) و"تخريج الإحياء" (٢٥٣/١) و"إتحاف السادة المتقين" (٣٧٣/٤) و"البداية والنهاية" (٥/ ١٧٤ ــ ١٧٦)، والسلسة الصحيحة"(١٥٠٣).

٣ – سورة الأنعام آية : ٩١.

تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ﴾ [1] أَيْ اَللَّهُ اَلَّذِي أَنْزَلَ اَلْكِتَابَ اَلَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى, فَالِاسْمُ (اَللَّهُ) مُبْتَدَأٌ, وَخَبَرُهُ قَدْ دَلَّ عَلَيْهِ اَلِاسْتِفْهَامُ, كَمَا فِي نَظَائِرِ ذَلِكَ; تَقُولُ مَنْ جَارُهُ? فَيَقُولُ زَيْدٌ .

وَأَمَّا اَلِاسْمُ اَلْمُفْرَدُ [2] مُظْهَرًا أَوْ مُضْمَرًا, فَلَيْسَ بِكَلَامٍ تَامٍّ, وَلَا جُمْلَةٍ مُفِيدَةٍ, وَلَا يَتَعَلَّقُ بِهِ إِيمَانٌ وَلَا كُفْرٌ, وَلَا أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ ..

أَمَرَ بِتَلْقِينِ اَلْمَيِّتِ "لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ" [3] .

وَقَالَ ﴿ مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ; دَخَلَ اَلْجَنَّةَ ﴾ [4] .

---

١ – سورة الأنعام آية : ٩١.

٢ – وفي كتاب "المنحة المحمدية في بيان العقائد السلفية" (ص٢٣٠) للشقيري فصل بعنوان" الذكر بالاسم المفرد بدعة" فلينظر. وانظر كتابي "المنتقى النفيس من تلبيس إبليس" (ص ٤٣١).

٣ – رواه مسلم في "صحيحه" (رقم: ٩١٧). وقد أعل بما لا يقدح. فانظر تخريجه عليه مطولا في كتاب "علل أحاديث صحيح مسلم" (رقم ١٩) لابن عمار الشهيد بتحقيقي وتعليقي.

٤ – رواه داود (٣١١٦) والحاكم (٣٥١/١) وأحمد (٢٣٣/٥ و٢٤٧) والطبراني في "الكبير" (٢٢١/١١٢/٢٠) وفي "الدعاء" (١٤٧١) والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٩٩) والفَسَوِي في "تاريخه" (٣١٢/٢) وابن منده في "التوحيد" (رقم: ١٨٧) عن معاذ، بسند حسن. وفي الباب عن غيره. وقد وردت في هذا الحديث قصة عظيمة في تلقين الشهادة لأبي زرعة الرازي عند موته، فانظرها في "تقدمة الجرح" (ص٣٤٥) و"فضل التهليل" (ص٨١).

وَقَدْ صَنَّفَ صَاحِبُ "اَلْفُصُوصِ" [1] كِتَابًا سَمَّاهُ كِتَابَ "اَلْهُوَ" [2] .

وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ قَوْلَهُ ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [3] آلِ عِمْرَانَ ، مَعْنَاهُ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَ هَذَا اَلاسْمِ اَلَّذِي هُوَ (اَلْهُوَ)! .

وَإِنْ كَانَ هَذَا مِمَّا اتَّفَقَ اَلْمُسْلِمُونَ بَلْ اَلْعُقَلَاءُ عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَبْيَنِ اَلْبَاطِلِ; فَقَدْ يَظُنُّ ذَلِكَ مِنْ يَظُنُّهُ مِنَ هَؤُلَاءِ, حَتَّى قُلْتُ مَرَّةً لِبَعْضِ مَنْ قَالَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لَوْ كَانَ هَذَا كَمَا قُلْتَهُ لَكُتِبَتْ اَلْآيَةُ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَ "هُوَ" مُنْفَصِلَة .

ثُمَّ كَثِيرًا مَا يَذْكُرُ بَعْضُ اَلشُّيُوخِ أَنَّهُ يُحْتَجُّ عَلَى قَوْلِ اَلْقَائِلِ "اَللَّهُ" بِقَوْلِهِ ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ ﴾ [4] اَلْأَنْعَام ٩١ ، وَيَظُنُّ أَنَّ اَللَّهَ

قُلِ ٱللَّهُ ﴾ [5] مَعْنَاهُ اَللَّهُ اَلَّذِي أَنْزَلَ اَلْكِتَابَ اَلَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى, وَهُوَ جَوَابٌ لِقَوْلِهِ ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ [6] أَيْ اَللَّهُ اَلَّذِي أَنْزَلَ اَلْكِتَابَ اَلَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى, رَدَّ بِذَلِكَ قَوْلَ مَنْ قَالَ ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ [7] فَقَالَ ﴿ مَنْ

١ – هو ابن عربي النكرة، المتقدمة الإشارة إليه (ص٣٩).

٢ – وكذا الحلاج (!) كما في "السير" (٣٥٣/١٤)!!.

٣ – سورة آل عمران آية : ٧.

٤ – سورة الأنعام آية : ٩١.

٥ – سورة الأنعام آية : ٩١.

٦ – سورة الأنعام آية : ٩١.

٧ – سورة الأنعام آية : ٩١.

أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ ﴾ [1] ثُمَّ قَالَ ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ [2] أَنْزَلَهُ, ثُمَّ ذَرْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ [3] .

وَمِمَّا يُبَيِّنُ مَا تَقَدَّمَ, مَا ذَكَرَهُ سِيبَوَيْهِ وَغَيْرُهُ مِنْ أَئِمَّةِ النَّحْوِ أَنَّ الْعَرَبَ يَحْكُونَ بِالْقَوْلِ مَا كَانَ كَلَامًا, وَلَا يَحْكُونَ بِهِ مَا كَانَ قَوْلاً, فَالْقَوْلُ لَا يُحْكَى بِهِ إِلَّا كَلَامٌ تَامٌّ, أَوْ جُمْلَةٌ اسْمِيَّةٌ, أَوْ جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ, وَلِهَذَا يَكْسِرُونَ "إِنَّ" إِذَا جَاءَتْ بَعْدَ الْقَوْلِ [4] فَالْقَوْلُ لَا يُحْكَى بِهِ اسْمٌ, وَاللَّهُ -تَعَالَى- لَا يَأْمُرُ أَحَدًا بِذِكْرِ اسْمٍ مُفْرَدٍ, وَلَا شَرَعَ لِلْمُسْلِمِينَ اسْمًا مُفْرَدًا .

١ - سورة الأنعام آية : ٩١.

٢ - سورة الأنعام آية : ٩١.

٣ - تقدم قريب من هذا الجواب (ص١٢٥). وانظر: "بدائع التفسير عن ابن القيم" (١٦٣١٦٥/٢).

٤ - انظر "خزانة الأدب" (٢٦٨/١٠ ــ ٢٦٩) للبغدادي.

اَلاسْمُ اَلْمُجَرَّدُ لَا يُفِيدُ شَيْئًا مِنَ اَلْإِيمَانِ

وَالاسْمُ اَلْمُجَرَّدُ لَا يُفِيدُ شَيْئًا مِنَ اَلْإِيمَانِ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ اَلْإِسْلَامِ, وَلَا يُؤْمَرُ بِهِ فِي شَيْءٍ مِنَ اَلْعِبَادَاتِ, وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْ اَلْمُخَاطَبَاتِ .

وَنَظِيرُ مِنِ اقْتَصَرَ عَلَى اَلاسْمِ اَلْمُفْرَدِ مَا يَذْكُرُ أَنَّ بَعْضَ اَلْأَعْرَابِ

وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ [1] اَلْمُزَّمِّل ٨ .

وَقَوْلِهِ ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [2] اَلْأَعْلَى ١ .

وَقَوْلُهُ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ [3] اَلْأَعْلَى ١٤١٥ .

وَقَوْلِهِ ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [4] اَلْوَاقِعَة ٧٤ .

وَنَحْوَ ذَلِكَ, لَا يَقْتَضِي ذِكْرَهُ مُفْرَدًا .

بَلْ فِي "اَلسُّنَنِ" [5] أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [6] اَلْوَاقِعَة ٧٤ ، قَالَ ﴿ اِجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ ﴾ وَلَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [7] اَلْأَعْلَى ١ ، قَالَ ﴿ اِجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ ﴾ .

---

١ – سورة المزمل آية : ٨.

٢ – سورة الأعلى آية : ١.

٣ – سورة الأعلى آية : ١٤–١٥.

٤ – سورة الواقعة آية : ٧٤.

٥ – رواه أبو داود (٨٦٩) وابن ماجه (٨٨٧) وأحمد (١٥٥/٤) والطحاوي (١٣٨/١) والحاكم (٢٢٥/١) و (٤٧٧/٢) والبيهقي (٨٦/٢) والطيالسي (١٠٠٠) وابن حبان (١٨٩٨) والدارمي (٢٩٩/١)، والطبراني (٨٨٩/١٧) وابن خريمة (٦٠٠)، (٦٧٠) والبيهقي (٨٦/٢) عن عقبة بن عامر. وفيه راو مجهول وهو إياس بن عامر قال الذهبي: "ليس بالمعروف"، ولم يرو عنه غير راو واحد، ووثقه ابن حبان والعجلي! وقال الحافظ: "صدوق"! ومنهجه في مثله أن يقول: "مقبول"، أو"مجهول"!.

٦ – سورة الواقعة آية : ٧٤.

٧ – سورة الأعلى آية : ١.

فَشَرَعَ لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا فِي اَلرُّكُوعِ "سُبْحَانَ رَبِّيَ اَلْعَظِيمِ" وَفِي

وَفِي "اَلصَّحِيحِ" [1] . أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ "سُبْحَانَ رَبِّيَ اَلْعَظِيمِ", وَفِي سُجُودِهِ "سُبْحَانَ رَبِّيَ اَلْأَعْلَى", وَهَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ "اِجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ وَسُجُودِكُمْ" بِاتِّفَاقِ اَلْمُسْلِمِينَ .

فَتَسْبِيحُ اِسْمِ رَبِّهِ اَلْأَعْلَى, وَذِكْرُ اسْمِ رَبِّهِ -وَنَحْوَ ذَلِكَ- هُوَ بِالْكَلَامِ اَلتَّامِّ اَلْمُفِيدِ; كَمَا فِي "اَلصَّحِيحِ" [2] عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ ﴿ أَفْضَلُ اَلْكَلَامِ بَعْدَ اَلْقُرْآنِ أَرْبَعٌ -وَهُنَّ مِنَ اَلْقُرْآنِ- سُبْحَانَ اَللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ, وَلَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ, وَاَللَّهُ أَكْبَرُ ﴾ .

وَفِي "اَلصَّحِيحِ" [3] عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ ﴿ كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى .

وَفِي "اَلصَّحِيحَيْنِ" [4] عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ ﴿ مَنْ قَالَ فِي يَوْمِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ, لَهُ اَلْمُلْكُ وَلَهُ اَلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ, كَتَبَ اَللَّهُ لَهُ حِرْزًا مِنَ اَلشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ, حَتَّى يُمْسِيَ, وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ, إِلَّا رَجُلٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ, وَمَنْ قَالَ فِي يَوْمِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ سُبْحَانَ اَللَّهِ وَبِحَمْدِهِ, سُبْحَانَ اَللَّهِ اَلْعَظِيمِ, حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ اَلْبَحْرِ ﴾ .

---

١ - "صحيح مسلم" (٧٧٢) عن حذيفة. وفي الباب عن عدة من الصحابة خارج "الصحيح".

٢ - هو في "صحيح مسلم" (٢١٣٧) بنحوه. وعلقه البخاري في "صحيحه" (٥٦٦/١١). ورواه أحمد (١٠/٥ و ٢١) والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (٨٤٥) والبغوي (١٢٧٦) والطبراني (٦٧٩١) وابن حبان (٨٣٥) و(٨٣٩) والطيالسي (٨٩٩) وابن ماجه (٣٨١١) عن سمرة جندب. وليس عندهم جميعا: "وهُنَّ في القرآن".

٣ - رواه البخاري (٦٤٠٦) و(٦٦٨٢) و(٧٥٦٣) ومسلم (٢٦٩٤) والترمذي (٣٤٦٧) وابن ماجه (٣٨٠٦) وابن أبي شيبة (٢٨٨/١٠) وأحمد (٢٣٢/٢) وابن حبان (٨٣١) و (٨٤١) والنسائي في "عمل اليوم" (٨٣٠) والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٤٩٩) عن أبي هريرة. وللإمام ابن ناصر الدين الدمشقي جزء مفرد عنوانه: "التنقيح" في شرح هذا الحديث، وقد طبع قريبا بتحقيق الأخ الفاضل محمد ناصر العجمي. فائدة: لا يعرف هذا الحديث إلا عن أبي هريرة -فهو غريب- وهو آخر أحاديث "صحيح البخاري"، وكذا أول أحاديثه "إنما الأعمال بالنيات" -وقد سبق (ص١٠٨)- لا يثبت إلا عن عمر، فهو غريب أيضا.

٤ - رواه البخاري (١٦٨/١١) ومسلم (٢٦٩١) ومالك (٢٠٩/١) والترمذي (٣٤٦٤).

وَفِي "اَلْمَوْطَأ" [1] وَغَيْرِهِ عَنِ اَلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ ﴿ أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ, لَهُ اَلْمُلْكُ وَلَهُ اَلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وَفِي "سُنَنِ اِبْنِ مَاجَه" [2] وَغَيْرِهِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ ﴿ أَفْضَلُ اَلذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ, وَأَفْضَلُ اَلدُّعَاءِ اَلْحَمْدُ لِلَّه ﴾ .

وَمِثْلُ هَذِهِ اَلْأَحَادِيثِ كَثِيرَةٌ فِي أَنْوَاعِ مَا يُقَالُ مِنَ اَلذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ .

وَكَذَلِكَ مَا فِي اَلْقُرْآنِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ [3] اَلْأَنْعَام ١٢١ ، وَقَوْلِهِ ﴿ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ [4] اَلْمَائِدَة ، إِنَّمَا هُوَ قَوْلٌ بِاسْمِ اَللَّهِ,

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [5] الْعَلَق ١ ، وَفِي قَوْلِهِ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾ [6] هُود ٤١ ، وَفِي قَوْلِ اَلنَّبِيِّ ﷺ ﴿ مَنْ كَانَ ذَبَحَ قَبْلَ اَلصَّلَاةِ فَلْيَذْبَحْ مَكَانَهَا أُخْرَى, وَمَنْ لَمْ يَكُنْ ذَبَحَ فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اَللَّه ﴾ [7] .

وَمِنْ هَذَا اَلْبَاب قَوْلُ اَلنَّبِيِّ ﷺ فِي اَلْحَدِيثِ اَلصَّحِيحِ [1] لِرَبِيبِهِ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ ﴿ يَا غُلَامُ سَمِّ اَللَّه, وَكُلْ بِيَمِينِكَ, وَكُلٌّ مِمَّا يَلِيكَ ﴾ .

---

١ – تقدم تخريجه (ص١٢٤).

٢ – تقدم تخريجه (ص١٢٤).

٣ – سورة الأنعام آية : ١٢١.

٤ – سورة المائدة آية : ٤.

٥ – سورة العلق آية : ١.

٦ – سورة هود آية : ٤١.

٧ – أخرجه البخاري (١٧/١٠) ومسلم (١٩٦٠) والنسائي (٢٢٤/٧) وابن ماجه (٣١٥٢) والبيهقي (٢٧٦/٩) والطيالسي (٩٣٦) وأحمد (٣١٢/٤ و٣١٣) عن جندب.

فَالْمَرَادُ أَنْ يَقُولَ بِاسْمِ اَللَّهِ [٢] لَيْسَ اَلْمَرَادُ أَنْ يَذْكُرَ

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي اَلْحَدِيثِ اَلصَّحِيحِ [٣] لِعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﴿ إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ اَلْمُعَلَّمَ, وَذَكَرْتَ اِسْمَ اَللَّهِ فَكُلْ ﴾ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ ﴿ إِذَا دَخَلَ اَلرَّجُلُ مَنْزِلَهُ فَذَكَرَ اِسْمَ اَللَّهِ عِنْدَ دُخُولِهِ, وَعِنْدَ خُرُوجِهِ, وَعِنْدَ طَعَامِهِ, قَالَ اَلشَّيْطَانُ لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عِشَاءَ ﴾ [٤] ".

وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ .

وَكَذَلِكَ مَا شُرِعَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي صَلَاتِهِمْ وَأَذَانِهِمْ وَحَجِّهِمْ وَأَعْيَادِهِمْ مِنْ ذِكْرِ اَللَّهِ – تَعَالَى –, إِنَّمَا هُوَ بِالْجُمْلَةِ اَلتَّامَّةِ .

كَقَوْلِ اَلْمُؤَذِّنِ اَللَّهُ أَكْبَرُ, اَللَّهُ أَكْبَرُ, أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ, أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اَللَّهِ .

وَقَوْلِ اَلْمُصَلِّي اَللَّهُ أَكْبَرُ, سُبْحَانَ رَبِّيَ اَلْعَظِيمِ, سُبْحَانَ رَبِّيَ اَلْأَعْلَى, سَمِعَ اَللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ, رَبَّنَا وَلَكَ اَلْحَمْدُ, اَلتَّحِيَّاتُ لِلَّهِ .

وَقَوْلِ اَلْمُلَبِّي لَبَّيْكَ اَللَّهُمَّ لَبَّيْكَ .

وَأَمْثَالُ ذَلِكَ .

---

١ – رواه البخاري (٥٣٧٦) ومسلم (٢٠٢٢) والنسائي في "الكبرى" كما في "التحفة" (١٣٠/٨) وابن السني (٣٥٦) والترمذي (٩١٨) عن عمر بن أبي سلمة عنه –صلى الله عليه وسلم–.

٢ – وروى الطبراني الحديث في "الكبير" (٨٣٠٤) بلفظ: "يا غلام إذا أكلت، فقل: بسم الله". وسنده صحيح على شرط الشيخين. قال شيخنا في "الإرواء" (٣١/٧): "ففيه بيان ما أطلق في الروايات الأخرى، وأن التسمية على الطعام إنما السنة فيها أن يقول باختصار: "بسم الله"، فاحفظ هذا فإنه مهم عند من يقدرون السنة، ولا يجيزون الزيادة عليها وانظر "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (رقم: ٣٤٤).

٣ – رواه البخاري (٦٠٩/٩) ومسلم (١٩٢٩) وأبو داود (٢٨٤٨) وابن ماجه (٣٢٠٨) وأحمد (٢٥٨/٤) والبيهقي (٢٣٩/٩ و٢٣٧) والنسائي (٨٣/٧) والطيالسي (١٠٣٠) وابن ماجه (٣٢١٣) من طرق عن الشعبي، عن عدي، به.

٤ – رواه مسلم (٢٠١٨) وأبو داود (٣٧٦٥) وابن ماجه (٣٨٨٧) وأحمد (٣٤٦/٣) والبخاري في "الأدب المفرد" (١٠٩٦) والبيهقي (٢٧٦/٧) عن جابر.

جَمِيعُ مَا شَرَعَهُ اَللَّهُ مِنَ اَلذِّكْرِ كَلَامٌ تَامٌّ

فَجَمِيعُ مَا شَرْعُهُ اَللَّهُ مِنَ اَلذِّكْرِ, إِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ تَامٌّ, لَا اِسْمٌ مُفْرَدٌ, لَا مُظْهَرٌ وَلَا مُضْمَرٌ .

وَهَذَا هُوَ اَلَّذِي يُسَمَّى فِي اَللُّغَةِ كَلِمَةً, كَقَوْلِه ﴿ كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اَللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي اَلْمِيزَانِ, حَبِيبَتَانِ إِلَى اَلرَّحْمَنِ, سُبْحَانَ اَللَّهِ وَبِحَمْدِهِ, سُبْحَانَ اَللَّهِ اَلْعَظِيمِ ﴾ [1] .

وَقَوْلِه ﴿ أَفْضَلُ كَلِمَةٍ قَالَهَا اَلشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اَللَّهَ بَاطِلٌ ﴾ [2] .

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ [3] اَلْكَهْف ٥ .

وَقَوْلُهُ ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [4] اَلْأَنْعَام ١١٥ .

وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِمَّا اسْتُعْمِلَ فِيهِ لَفْظُ اَلْكَلِمَةِ فِي اَلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ, بَلْ وَسَائِرِ كَلَامِ اَلْعَرَبِ, فَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ اَلْجُمْلَةُ اَلتَّامَّةُ كَمَا كَانُوا يَسْتَعْمِلُونَ اَلْحَرْفَ فِي اِلاسْمِ, فَيَقُولُونَ هَذَا حَرْفٌ غَرِيبٌ; أَيْ لَفْظُ اَلِاسْمِ غَرِيبٌ .

وَقَسَّمَ سِيبَوَيْهِ [5] اَلْكَلَامَ إِلَى اِسْمٍ, وَفِعْلٍ, وَحَرْفٌ جَاءَ لِمَعْنَى;

مَنْ قَرَأَ اَلْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ, أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ, وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ, وَلَامٌ حَرْفٌ, وَمِيمٌ حَرْفٌ ﴾ [6] .

---

١ – تقديم تخريجه (ص١٣٠).

٢ – أخرجه البخاري (٣٨٤١) ومسلم (٢٢٥٦) والترمذي في "سننه" (٢٨٥٣) و"الشمائل" (٢٠٧ مختصره) وابن ماجه (٣٧٥٧) وأحمد (٢/٢٤٨ و٣٩١ و٤٤٢) عن أبي هريرة.

٣ – سورة الكهف آية : ٥.

٤ – سورة الأنعام آية : ١١٥.

٥ – كما في "الكتاب" له.

٦ – صح الحديث دون قوله –صلى الله عليه وسلم– "فأعربه" فانظر تعليقي على "الوصية الكبرى" (ص٥٨) للمؤلف –رحمه الله– ، وانظر مقدمة هذا الكتاب (ص١٢).

وَقَدْ سَأَلَ اَلْخَلِيلُ [1] أَصْحَابَهُ عَنِ اَلنُّطْقِ بِحَرْفِ اَلزَّايِ مِنْ زَيْدٍ؟ فَقَالُوا "زَاي", فَقَالَ جِئْتُمْ بِالِاسْمِ, وَإِنَّمَا اَلْحَرْفُ "زَ".

ثُمَّ إِنَّ اَلنُّحَاةَ اِصْطَلَحُوا عَلَى أَنَّ هَذَا اَلْمُسَمَّى فِي اَللُّغَةِ بِالْحَرْفِ, يُسَمَّى كَلِمَةً, وَأَنَّ لَفْظَ اَلْحَرْفِ يَخُصُّ لِمَا جَاءَ لِمَعْنًى, لَيْسَ بِاسْمٍ وَلَا فِعْلٍ, كَحُرُوفِ اَلْجَرِّ وَنَحْوِهَا .

وَأَمَّا أَلْفَاظُ حُرُوفِ اَلْهِجَاءِ, فَيُعَبَّرُ تَارَةً بِالْحَرْفِ عَنْ نَفْسِ اَلْحَرْفِ مِنَ اَللَّفْظِ, وَتَارَةً بِاسْمِ ذَلِكَ اَلْحَرْفِ .

وَلَمَّا غَلَبَ هَذَا اَلِاصْطِلَاحُ صَارَ يُتَوَهَّمُ مَنِ اِعْتَادَهُ أَنَّهُ هَكَذَا فِي لُغَةِ اَلْعَرَبِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُ لَفْظَ "اَلْكَلِمَةِ" فِي اَللُّغَةِ لَفْظًا مُشْتَرِكًا بَيْنَ اَلِاسْمِ مَثَلاً, وَبَيْنَ اَلْجُمْلَةِ, وَلَا يَعْرِفُ فِي صَرِيحِ اَللُّغَةِ مِنْ لَفْظِ

١ – هو الفراهيدي، واضع علم العروض، توفي سنة (١٧٢هـ) ترجمته في "السير" (٤٢٩/٧).

جِمَاعُ اَلدِّينِ

و وَجِمَاعُ اَلدِّينِ أَصْلَانِ .

أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اَللَّهَ .

وَلَا نَعْبُدَهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ، لَا نَعْبُدَهُ بِالْبِدَعِ .

كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [1] اَلْكَهْف ١١٠ .

وَذَلِكَ تَحْقِيقُ اَلشَّهَادَتَيْنِ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ، وَشَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اَللَّهِ .

فَفِي اَلْأُولَى أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا إِيَّاهُ .

وَفِي اَلثَّانِيَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ هُوَ رَسُولُ اَللَّهِ اَلْمُبَلِّغُ عَنْهُ؛ فَعَلَيْنَا أَنْ نُصَدِّقَ خَبَرَهُ وَنُطِيعَ أَمْرَهُ .

وَقَدْ بَيَّنَ لَنَا مَا نَعْبُدُ اَللَّهَ بِهِ وَنَهَانَا عَنْ مُحْدَثَاتِ اَلْأُمُورِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهَا ضَلَالَةٌ [2] .

قَالَ تَعَالَى ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [3] اَلْبَقَرَة ١١٢ .

---

١ – سورة الكهف آية : ١١٠.

٢ – انظر "جزء اتباع السنن" (رقم: ١ و٢ و٣) للضياء المقدسي، وتعليقي عليه، وما سبق (ص١٠٨).

٣ – سورة البقرة آية : ١١٢.

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [1] اَلتَّوْبَة ٥٩ ، فَجَعَلَ اَلْإِيتَاءَ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ كَمَا قَالَ ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [2] اَلْحَشْر ٧ .

وَجَعَلَ اَلتَّوَكُّلَ عَلَى اَللَّهِ وَحْدَهُ بِقَوْلِهِ ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾ [3] اَلتَّوْبَة ٥٩ ، وَلَمْ يَقُلْ وَرَسُولُهُ، كَمَا قَالَ فِي وَصْفِ اَلصَّحَابَةِ -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمْ فِي اَلْآيَةِ اَلْأُخْرَى ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [4] آل عِمْرَانَ ١٧٤ .

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [5] اَلْأَنْفَال ٦٤ ، أَيْ حَسْبُكَ وَحَسْبُ اَلْمُؤْمِنِينَ, كَمَا قَالَ ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ ﴾ [6] اَلزُّمَر ٣٦ .

ثُمَّ قَالَ ﴿ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾ [7] اَلتَّوْبَة ٥٩ ، فَجَعَلَ اَلْإِيتَاءَ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ, وَقَدَّمَ ذِكْرَ اَلْفَضْلِ لِلَّهِ; لِأَنَّ اَلْفَضْلَ بِيَدِ اَللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاَللَّهُ ذُو اَلْفَضْلِ اَلْعَظِيمِ, وَلَهُ اَلْفَضْلُ عَلَى رَسُولِهِ

إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [8] اَلتَّوْبَة ٥٩ ، فَجَعَلَ اَلرَّغْبَةَ إِلَى اَللَّهِ وَحْدَهُ, كَمَا فِي قَوْلِهِ ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾ [9] اَلِانْشِرَاح ٧-٨ .

---

١ - سورة التوبة آية : ٥٩.

٢ - سورة الحشر آية : ٧.

٣ - سورة آل عمران آية : ١٧٣.

٤ - سورة آل عمران آية : ١٧٣.

٥ - سورة الأنفال آية : ٦٤.

٦ - سورة الزمر آية : ٣٦.

٧ - سورة التوبة آية : ٥٩.

٨ - سورة التوبة آية : ٥٩.

٩ - سورة الشرح آية : ٧-٨.

وَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ لِابْنِ عَبَّاسٍ ﴿ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اَللَّهَ, وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ﴾ [1] .

وَالْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَى مِثْلِ هَذَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ .

فَجَعَلَ اَلْعِبَادَةَ وَالْخَشْيَةَ وَالتَّقْوَى لِلَّهِ, وَجَعَلَ اَلطَّاعَةَ وَالْمَحَبَّةَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ, كَمَا فِي قَوْلِ نُوحٍ -عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ- ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [2] نُوح ٣ .

وَقَوْلِهِ ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [3] النُّور ٥٢ .

وَأَمْثَالِ ذَلِكَ .

فَالرُّسُلُ أُمِرُوا بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ, وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ, وَالطَّاعَةِ لَهُ, فَأَضَلَّ اَلشَّيْطَانُ اَلنَّصَارَى وَأَشْبَاهَهُمْ فَأَشْرَكُوا بِاللَّهِ وَعَصَوْا اَلرَّسُولَ, فَاتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اَللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ, فَجَعَلُوا يَرْغَبُونَ إِلَيْهِمْ وَيَتَوَكَّلُونَ عَلَيْهِمْ, وَيَسْأَلُونَهُمْ, مَعَ مَعْصِيَتِهِمْ لَأَمْرِهِمْ وَمُخَالَفَتِهِمْ لِسُنَّتِهِمْ; وَهَدَى اَللَّهُ اَلْمُؤْمِنِينَ اَلْمُخْلَصِينَ لِلَّهِ أَهْلَ اَلصِّرَاطِ اَلْمُسْتَقِيمِ, اَلَّذِينَ عَرَفُوا اَلْحَقَّ وَاتَّبَعُوهُ, فَلَمْ يَكُونُوا مِنَ اَلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا اَلضَّالِّينَ, فَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ, وَأَسْلَمُوا وُجُوهَهُمْ لِلَّهِ, وَأَنَابُوا إِلَى رَبِّهِمْ, وَأَحَبُّوهُ وَرَجَوْهُ, وَخَافُوهُ, وَسَأَلُوهُ, وَرَغِبُوا إِلَيْهِ, وَفَوَّضُوا أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ, وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ, وَأَطَاعُوا رُسُلَهُ, وَعَزَّرُوهُمْ [4] وَوَقَّرُوهُمْ, وَأَحَبُّوهُمْ, وَوَالَوْهُمْ, وَاتَّبَعُوهُمْ, وَاقْتَفَوْا آثَارَهُمْ, وَاهْتَدُوا بِمَنَارِهِمْ .

وَذَلِكَ هُوَ دِينُ اَلْإِسْلَامِ اَلَّذِي بَعَثَ اَللَّهُ بِهِ اَلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مِنَ اَلرُّسُلِ, وَهُوَ اَلدِّينُ اَلَّذِي لَا يَقْبَلُ اَللَّهُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا إِلَّا إِيَّاهُ [5] .

---

١ – تقدم تخريجه ص:(٦٩).

٢ – سورة نوح آية : ٣.

٣ – سورة النور آية : ٥٢.

٤ – عظموهم.

٥ – فدندنة بعض (العصرانيين) حول (وحدة الأديان) و(التسامح الديني) و(الأخوة الإنسانية) من ضلالات هؤلاء المبطلين، وانحرافاتهم، بل كفرياتهم، وإنما يريدون بذلك اجتثاث أصل الإسلام، ومحو حقيقة دين الله من النفوس، فالحذر الحذر!!.

وَهُوَ حَقِيقَةُ اَلْعِبَادَةِ لِرَبِّ اَلْعَالَمِينَ .

فَنَسْأَلُ اَللَّهَ اَلْعَظِيمَ أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَيْهِ, وَيُكْمِلَهُ لَنَا [1] وَيُمِيتَنَا عَلَيْهِ, وَسَائِرَ إِخْوَانِنَا اَلْمُسْلِمِينَ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ .

وَصَلَّى اَللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ [2] . .

١ – من حيث التزامنا به، وطاعتنا لله فيه.

٢ – كان الفراغ من ضبط نصه، والتعليق عليه، وتخريج أحاديثه، عصر يوم الجمعة، لثمانية أيام خلت من شهر ذي القعدة سنة عشر وأربع مائة وألف للهجرة. كتبه العبد الفقير لمولاه الغني: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، –عفا الله عنه بمنه وكرمه–. ثم أكدت النظر فيه، وراجعته، في مجالس آخرها صبيحة يوم الثلاثاء، الرابع عشر من شهر رمضان المبارك، سنة خمس عشرة بعد الأربع مائة والألف هجرية.